

نسخة معالجة  
وصفحات فردية

[www.ibtesama.com](http://www.ibtesama.com)

مذكرات  
محكوم عليه بالإعدام  
**Amyl**

للكتاب الأشهر

فيكتور هييجو

ترجمة  
لطفى سلطان

---

الطبعة الأولى فبراير 1960

الطبعة الثانية فبراير 2002

حقوق الطبع محفوظة لدار الهلال

التحويل لصفحات فردية  
فريق العمل بقسم  
تحميل كتب مجانية

بقيادة  
\*\* معرفتي \*\*

[www.ibtesama.com](http://www.ibtesama.com)  
منتديات مجلة الإبتسامة

شكرا للغالية  
Amly  
التي تفضلت بسحب الرواية

الاصدار الأول  
سبتمبر ١٩٩٩

## دار الهلال

سلسلة شهرية لنشر القصص العالمي  
تصدر عن مؤسسة دار الهلال

### الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي  
(١٢ عددًا) ٦٠ جنيهًا داخل  
ج. م. ع. تسدد مقدما نقدا أو  
بحوالة بريدية غير حكومية -  
البلاد العربية ٣٥ دولارا -  
أمريكا وأوروبا وآسيا وأفريقيا  
٥٠ دولارا - باقي دول العالم  
٦٠ دولارا

القيمة تسدد مقدما بئيك  
مصرفي لأمر مؤسسة دار  
الهلال - ويرجى عدم إرسال  
عملات نقدية بالتبريد

للاشتراك في الكويت:

السيد عبدالعال بسونى زغلول  
الضلع ص. ب. ٢١٨٣٣  
(13079) ت: ٤٧٤١١٦٤

الإدارة : القاهرة - ٦٦ شارع

محمد عز العرب بك (الميتديان

بيباكسا) ت: ٣٦٢٥٤٥٠

(٧ خطوط) المكاتبات: ص.

ب: ٦٦ العنتبة - القاهرة -

الرقم البريدي ١١٥١١ -

القرايها المصور - القاهرة ج.

ج. م.

تلكس :

Telex 92703 hilal w n

فلكس :

FAX 3625469

رئيس مجلس الإدارة  
مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير  
مصطفى نبيل

سكرتيرا التحرير  
محمود قاسم  
مؤمن حسين

نسخ النسخة

عنوان البريد الإلكتروني :  
darhilal@idsc.gov.eg

مذكرات  
محكوم عليه بالإعدام  
**Amyl**

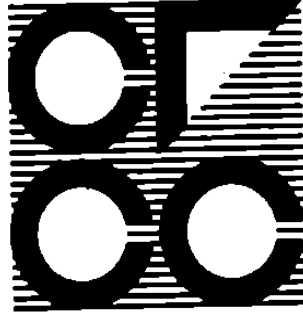
للكتاب الأشهر  
فيكتور هييجو

ترجمة  
لطفى سلطان

---

الطبعة الأولى فبراير 1960  
الطبعة الثانية فبراير 2002

حقوق الطبع محفوظة لدار الهلال



صدر هذا الكتاب بالاشتراك مع المركز الفرنسي للثقافة  
والتعاون (قسم الترجمة) التابع لسفارة فرنسا بالقاهرة

# مقدمة

بقلم فيكتور هيجو

لم يظهر في مقدمة الطبقات الاولى من هذا الكتاب ، الذي نشر اول ما نشر دون ذكر اسم مؤلفه ، سوى السطور القليلة التالية :

« هناك وسيلتان نحس عن طريقهما بوجود هذا الكتاب، او ان شئت فقل : كانت هناك في الواقع رزمة من الاوراق الصفراء غير المنتظمة ، سجل عليها آخر ماجال بذهن انسان بائس من افكار ، ورقة بعد ورقة ، او انه كان هناك رجل مفكر ، شغلته ملاحظة الطبيعة في سبيل الفن ، رجل فيلسوف او شاعر - لست ادري - كانت هذه الفكرة نزوة من نزواته سيطر عليها ، او بالأحرى سيطرت هي عليه ، ولم يستطع التخلص منها الا بتدوينها في كتاب .. وعلى القارئ ان يختار من بين هذين التفسيرين ما يروق له »

ويستطيع القارئ ان يلاحظ ان المؤلف لم يجد من المناسب ان يفصح عن فكره عندما نشر هذا الكتاب ، وانما آثر ان ينتظر

حتى تفهم فكرته ويتلمس صداها لدى الجمهور . ومالبت  
الايام ان حقت ماكان يتوق الى معرفته ، اذ فهم الجمهور  
فكرته التي ضمنها هذا الكتاب . ويستطيع المؤلف اليوم ان  
يكشف النقاب عن الفكرة السياسية والاجتماعية التي اراد  
ان يروج لها في هذا القالب الأدبي الساذج البريء ، فهو يعترف  
اذن ، او بالاحرى هو يعلن بصوت مدو وعلى رءوس الاشهاد ،  
ان كتاب « آخر ايام محكوم عليه بالاعدام » ليس الا دفاعا  
مباشرا - او غير مباشر ان ثبتت - عن الغاء عقوبة الاعدام

ان ماكان يقصد اليه الكاتب بمؤلفه هذا ، وماكان يريد ان  
تبينه الاجيال المقبلة ، اذا هي عنيت بأمره ، ليس الدفاع  
الخاص عن مجرم بعينه او عن متهم يتخيره الكاتب ، فمثل هذا  
الدفاع الخاص أمره ميسور دائما وهو يتغير تبعا للظروف ،  
بل هو في حقيقة أمره مرافعة عامة وابدية عن المتهمين جميعا ،  
في الحاضر وفي المستقبل . انه حجر الزاوية في الحق الانساني  
الذي ييسطه الكاتب ويدافع عنه بأعلى صوته أمام المجتمع  
الذي يعد محكمة النقض الكبرى ، مستهدفا حماية حقه في  
الاستئناف الذي غالبا مايرفض في قضايا الاجرام !

انها مشكلة كثيرة مظلمة تنبض في غير وضوح خلف جميع  
القضايا الكبرى ، وتختفى وراء ستار كثيف من الكلام الرنان ،  
ومن البلاغة الدامية التي يحيطها بها رجال الملك ( اى رجال  
القضاء ) . نعم ، اننى اقول انها مسألة « الحياة والموت »  
عارية ومجردة من كل رسميات النيابة العمومية وشكليات

الاتهام الرنّانة ، ومعروضة بشكل بارز في وضع النهار ، في  
المكان الذي يجب ان نراها فيه ، مكانها الواقعي على الطبيعة ،  
وفي بيئتها الشنيعة المروعة ، لا عند القاضي في المحكمة ، ولكن  
على المقصلة .. عند الجلاد !

ذلك هدف الشاعر الذي رمى اليه من تأليف هذا الكتاب .  
فان كل المستقبل هامته ذات يوم بالمجد - وهو مالا يجسر على  
ان يامله - فسوف يغنيه هذا عن كل شيء آخر

يعلن المؤلف اذن ويكرر القول باسم جميع المتهمين ، سواء  
كانوا ابرياء او مذنبين ، امام جميع المحاكم وسائر ممثلي الاتهام  
والمحلفين : ان هذا الكتاب موجه الى كل من يصدر حكما .  
ولكى يتسع مجال الدفاع حتى يشمل القضية برمتها ويفطى  
كل نواحيها ، فقد اضطر الكاتب لكتابة مؤلفه « آخر ايام  
محكوم عليه بالاعدام » ، او « مذكرات محكوم عليه بالاعدام »  
على هذه الصورة ، وان يحذف من موضوعه ومن  
اجزائه جميعا الحادث نفسه والدافع اليه ، والظروف الخاصة  
والشخصية ، وكل ماله صلة بالحادث ، واسم المذنب ،  
مكتفيا بالدفاع عن قضية شخص ما، محكوم عليه بالاعدام ،  
ونفذ فيه الحكم لجريمة ما في اى يوم من الايام

وسوف يكون من دواعى سعادة المؤلف لو انه استطاع  
- دون ان يستعين بشيء آخر غير تفكيره - ان يتعمق في  
موضوعه كل التعمق كى يجعل قلبا تنزف منه الدماء تحت  
بصر رجال القضاء ، ولو انه تمكن من ان يبعث الرحمة في قلوب



اولئك الذين يحسبون انهم عدول ، وسوف يكون من دواعي سروره لو انه استطاع بتعمقه في نفسية القاضى ان ينجح احيانا في ان يجد فيه انسانا !



وعندما نشر هذا الكتاب منذ ثلاث سنوات ، تخيل بعض الناس ان من واجبهم ان يعلنوا على الملأ ان فكرته ليست فكرة المؤلف ، فقال فريق منهم انه قد اخذها عن كتاب انجليزى ، وذهب فريق آخر الى انه قد اقتبسها عن كتاب امريكى ، وتلك لعمرى سنة مرذولة تدفعنا الى البحث عن اصول الاشياء بعيدا جدا ، على مسيرة آلاف الاميال ، وتجعل النهر الذى يفصل ماؤه شارعك ياتى من منابع النيل !

ومما يدعو للاسف ان اصل هذا الكتاب ليس انجليزيا ولا امريكيا ولا صينيا ، فالمؤلف لم يأخذ فكرته من كتاب ما ، فهو لم يالف ان يذهب باحثا عن افكاره بعيدا كل هذا البعد ، وانما اخذها من حيث تستطيعون جميعكم ان تاخذوها او من حيث يحتمل ان تكونوا قد لمستموها بالفعل ( اذ من منا لم يحلم ، او يفكر ، فيما بينه وبين نفسه ، في آخر يوم في حياة شخص محكوم عليه بالاعدام ؟ ) . . من الشارع ، بكل بساطة ، او من الميدان العام ، او من ساحة الاعدام . انه التقط هذه الفكرة الكئيبة وهو يمر من هناك ذات يوم . . التقطها وهى ملقاة على الارض في بركة من الدماء ، تحت سلاح المقصلة الاحمر الرهيب !

وكلمما كان يلداع حكم بالاعدام فى باريس ، تبعما لقضاة محكمة النقض فى ايام الخميس الكئيبة ، كانت هذه الفكرة الالمة تعود الى المؤلف وتستولى على نفسه ، فى كل مرة كان يسمع فيها تلك الصبحات المبحوحة التى تجمع المتفرجين وتؤلبهم حول ساحة الاعدام ، وهى تمر من تحت نوافذ بيته . نعم ، كانت هذه الفكرة تلح عليه فتملا رأسه بما فيها من جنود البوليس والجلادين والجماهر ، وتنقل الى مشاعره الالام الاخيرة التى يقاسيها البأس المحتضر ساعة بساعة ، فتقول له : انهم فى هذه اللحظة يجعلونه يعترف امام القسيس . . وفى هذه اللحظة ، يقصون له شعره . . وفى هذه اللحظة ، يوثقون يديه !

وكانت هذه الافكار ترغم المؤلف المسكين - وهو شاعر مرهف الحس رقيق الشعور - على ان يقول كل ذلك للمجتمع الذى تشغله شئونه المعتادة ، فى الوقت الذى تتم فيه هذه العملية البشعة ، وكان هذا خاطر يطارده وبهز عواطفه ، وينتزع وحى الشعر من اعماق نفسه ان كان يعالج كتابته ويقتل ابياته على لسانه وهى بعد لم تر النور ! نعم ، كانت هذه الفكرة تحاصره وتلح عليه ، وتملا رأسه ونفسه فتعطل كل اعماله ، وتعترض سبيله فى كل شئ . وكان الامر بالنسبة اليه عذابا اليما يبدأ مع مطلع النهار ، ثم يستمر بعد ذلك مع عذاب المذنب البأس الذى كان يمتد حتى الساعة الرابعة صباحا . وعندئذ فقط ، وبعد ان يتنفس الفجر ، كان فى

وسع المؤلف ان يتنفس وان يجد في نفسه شيئاً من الحرية !  
واخيراً ، شرع المؤلف ذات يوم في كتابة هذا الكتاب ،  
وكان ذلك - على ما يعتقد - في السنوات التسالي  
لاعدام « دولباخ » ، فخف عنه كربه منذ ذلك الحين ، واصبح  
ضمير • يوحى اليه انه ليس متضامناً مع العدالة في كل مرة  
ترتكب فيها احدى هذه الجرائم العامة التي يسمونها تنفيذ  
حكم الاعدام ، ولم يعد يحس على جبينه بقطرة الدماء  
التي تسقط من ساحة الاعدام على راس كل فرد من افراد  
المجتمع

ومع ذلك فان هذا كله ليس كافياً ، فالتبرؤ من الجريمة  
شيء حسن ، ولكن الافضل منه منع اراقة الدماء . ولهذا ،  
فلن يعرف المؤلف هدفاً اسماً ولا اسماً ولا انبل من هذا  
الهدف ، الا وهو الاسهام في الغاء عقوبة الاعدام ، ومن ثم فانه  
يضم تمنياته وجهوده بكل قواه ، الى جهود الرجال الكرماء في  
كل الامم ، الذين يعملون جاهدين منذ عدة اعوام من اجل  
اسقاط المقصلة ، وهي الشيء الوحيد الذي لاتجتثه الثورات .  
وسوف يسر المؤلف ان يأتى بدوره ، وهو الرجل الضعيف ،  
ليضرب ضربته معاونا في هدم آلة الاعدام التي تسلط منذ  
قرون عديدة على رؤوس الناس

٤٧

لقد ذكرنا منذ لحظة ان المقصلة هي البناء الوحيد الذي  
لاتقوضه الثورات ، والواقع انه يندر ان تبخل الثورات بدم

البشر ، فهي تأتي لتغير وتعديل من نظم المجتمع وأوضاعه ،  
ومن ثم تكون عقوبة الاعدام من الامور التي لاتتنازل عنها الا  
بصعوبة بالغة

ولكننا سوف نعترف مع ذلك بأنه اذا كانت هناك ثورة قد  
بدت لنا مجيدة ، وتستطيع حقا ان تُلغى عقوبة الاعدام ، فإن  
هذه الثورة هي ثورة يوليو ، اذ يبدو لنا في الواقع انه من  
واجب اكثر الحركات الشعبية تسامحا في العصر الحديث ان  
تُلغى هذه العقوبة البربرية التي انشأها لويس الحادي عشر  
وريشليو وروبسبير (١) ، وان تنص في القانون على عدم جواز  
اهدار حياة الانسان . نعم ، ان ثورة يوليو عام ١٨٣٠ كانت  
جديرة بتحطيم مقصلة عهد الارهاب التي كانت قائمة منذ  
عام ١٧٩٣

لقد رجونا ذلك لحظة ، ففي شهر اغسطس من عام ١٨٣٠ ،  
كان في وسع المرء ان يستنشق في الجو كثيرا من الشفقة  
والكرم ، وكانت ترفرف فوق الجماهير روح جميلة من الرقة  
والمدينة ، وكنا نشعر بأن قلوبنا تفتتح وهي تحس باقتراب  
مستقبل باسم ، حتى بدا لنا ان عقوبة الاعدام قد الفيت  
بالفعل دفعة واحدة باتفاق عرفي عام ، شأنها شأن غيرها من  
الامور التي كانت قد ضايقتنا اشد المضايقة !

---

(١) ريشليو احد الوزراء الفرنسيين قبل الثورة . أمرويسبير فهو ارهابي  
من رجال الثورة الغرضنية

ان الشعب كان قد تخلص من آثار العهد البائد في فرح غامر ، والمقصلة اثر دام من هذه الآثار ، وقد حسبنا اننا تخلصنا منها وانها حرقت مع ما حرق ، وظللنا لعدة أسابيع نثق بالمستقبل في سذاجة ، مؤمنين بأنه لا يمكن الاعتداء على الحياة كما لا يمكن الاعتداء على الحرية

والواقع انه ما كاد ينقضى شهران حتى بدلت محاولة تهدف الى تحقيق الامنية المثالية العظمى ، التي طالما تمنّاها « سيزار بونيزانا » ، الا وهي الغاء عقوبة الاعدام وجعلها حقيقة قانونية ، غير ان هذه المحاولة كانت تفتقر ، للأسف، الى المهارة والحدق ، بل انها كانت خبيثة تقريبا ، فقد تمت بقصد خدمة مصلحة اخرى غير المصلحة العامة

انا نتذكر انه في شهر اكتوبر من عام ١٨٣٠ ، بعد ان استبعد البرلمان اقتراح دفن نابليون تحت تمثال العامود بعدة أيام ، اخذ ممثلو الأمة جميعا ليكون وينتخبون ، وطرحت مسألة الحكم بالاعدام على بساط البحث ، وسوف نذكر بعد بضعة اسطر في اية مناسبة طرح هذا الموضوع للبحث ، فبدأ عندئذ ان قلوب هؤلاء المشرعين جميعا قد امتلات فجأة بشفقة عجيبة ، حتى انهم كانوا يتزاحمون علي الكلام ، وعلى العويل والنحيب ورفع ايديهم نحو السماء ! .. الحكم بالاعدام ! .. يا اله السموات والارض ! .. يا له من شيء بشع شنيع !

نعم .. هكذا كانوا يقولون ، ومنهم هذا النائب العام

الشيخ الذى ابيض شعره وهو يرتدى « الروب » الاحمر ،  
والذى سلخ كل حياته وهو ياكل الخبز مغموسا فى دم  
الاتهامات ، فقد لبس من فوره مسوح العطف والشفقة ،  
واشهد الالهة على انه يمقت المفصلة . ولم يخل المنبر لمدة  
يومين كاملين من خطب تفيض بالبكاء والنحيب حتى بدا الأمر  
وكانه « محزنة » ندب فيها الندابون ، ورددوا فاصلا من  
التراتيل الحزينة مع « تخت » كبير ، كبير جدا ، بمصاحبة  
المجموعة « الكورس » المكونة من كل هؤلاء الخطباء الذين  
يشغلون الصفوف الاولى من المجلس النيابى ، والذين يرسلون  
انفاما جميلة للغاية فى الايام المجيدة . لقد غنى كل منهم على  
طريقته ولم يكن هناك نقص فى اى شىء . وكان الأمر يشير  
العاطفة ويحرك الشفقة الى اقصى حد ، خاصة وان جلسة  
الليل كانت ابوية رحيمة ، تتقطع لها نياط القلوب ، تماما كما  
تتقطع لدى رؤية الفصل الخامس من مسرحية « لاشوسيه » ،  
وكانت الدموع تترقرق فى اعين الجمهور الطيب القلب الذى  
كان لا يفهم شيئا من كل ذلك

فعلام كانت تدور مناقشتهم عندئذ ؟ الغاء عقوبة الاعدام ؟

نعم . . ولا !

وهذا هو الواقع :

ان اربعة رجال من المجتمع الراقى ، اربعة رجال ذوى  
مراكز مرموقة من صنف هؤلاء الرجال الذين نصادفهم فى  
صالونات الطبقة العليا ، والذين قد يتبادلون معهم بضع كلمات

مؤدبة ، أقول ان أربعة من هؤلاء الرجال كانوا قد حاولوا ، فى الدوائر السياسية العليا ، احدى هذه الضربات الجريئة التى يسميها « بيكون » جرائم ، ويطلق عليها « ماكبافيللى » اسم « مشاريع » ولكن القانون فى قسوته على الجميع يعاقب على هذه الجرائم او المشاريع بالاعدام . وكان هؤلاء الرجال الاربعة سجناء وأسرى فى قبضة القانون يحرسهم ثلثمائة جندى فى سجن « فانسين » . . فما العمل وكيف العمل ؟ . . لاشك فى انكم تفهمون انه يستحيل ان يرسل الى ساحة الاعدام اربعة رجال مثلى ومثلك . . اربعة رجال من الطبقة الراقية لا يمكن ان يساقوا الى ساحة الاعدام فى عربة « كارو » وهم مقيدون بالحبال الغليظة فى بشاعة ، وظهر كل واحد منهم الى ظهر الآخر ، ومعهم هذا الموظف الذى يجب ألا يذكر اسمه قط ! . . آه لو كانت هناك مقصلة من خشب ثمين ! آه ! . . ليست هناك اذن وسيلة لانقاذ رءوسهم الا بالغاء عقوبة الاعدام !



وهنا تحرك البرلمان وبدا فى العمل !

ارجو ان تلاحظوا ايها السادة انكم حتى الامس القريب كنتم تنعتون هذا الالغاء بأنه مجرد نظرية مثالية خيالية ، وبأنه حلم وشعر وجنون . ولاحظوا كذلك ان هذه ليست أول مرة يحاولون فيها لفت نظركم الى العربة « الكارو » ، والى الحبال الغليظة ، والى الآلة الحمراء البشعة لأنه لمن

الغريب حقًا أن تسترعى كل هذه الأشياء الرهيبة انتباهكم  
الآن فجأة على هذا النحو !

صمتا ! فالأمر ليس كما تظنون ! فنحن لا نلقى عقوبة  
الاعدام من أجلك أنت أيها الشعب ، بل من أجلنا نحن النواب  
الذين قد نصب وزراء في يوم من الأيام . فنحن لا نريد أن  
تعض المقصلة الطبقات العليا ، ومن أجل ذلك فإننا نحطمها ،  
وحسنا نفعل إذا كان عملنا هذا فيه أرضاء للجميع ، غير أننا  
لم نفكر إلا في أنفسنا ونحن نقوم به ! فلنطفئ النار اذن ،  
ولنلغ الجلاد بسرعة ، ومعه قانون الاعدام

وهكذا ، فان مزيجا من الانانية ينحرف بخير المشروعات  
الاجتماعية ويفسدها . انه العرق الاسود يجرى في الرخام  
الابيض ، ويسير في كل موضع فيه فيظهر فجأة ، وفي اية  
لحظة ، تحت « ازميل » النحات . ان تمثالكم أيها السادة  
يجب ان يعاد صنعه من جديد

ونحن لا نشعر يقينا بأننا في حاجة الى ان نعلن ذلك هنا ،  
فلسنا من الذين كانوا يطالبون براءوس الوزراء الاربعة . فبعد  
القبض على هؤلاء الرجال ذوى الحظ العائر ، تحول لدينا  
الغضب والاشمئزاز اللذان كنا نشعر بهما بسبب مؤامرتهم  
الى شفقة عميقة كما حدث لدى الجميع . لقد انعمنا النظر  
في الافكار العتيقة التى تربي عليها بعضهم ، وفي عقل رئيسهم  
ذى الافق الضيق ، وهو انسان متعصب ومتأمر عنيد ممن  
اسهموا فى مؤامرات عام ١٨٠٤ ، قد ابيضت شفتاه قبل



الآوان ، وهو فى الظل والرطوبة فى سجون الدولة ، كما فكرنا فى كل الظروف الحتمية التى كانت تحيط بموقفهم المشترك ، وفى استحالة وقف هذا الانحدار السريع الذى كانت الملكية قد دفعت نفسها إليه بأقصى سرعتها فى الثامن من أغسطس عام ١٨٢٩ ، وفكرنا كذلك فى مدى الأثر الذى يحدثه شخص الملك ذاته فى أنفسنا ، وهو أثر لم نكن نشعر به إلا قليلاً جداً حتى ذلك الحين ، وفكرنا خاصة فى العزة والكرامة اللتين كان أحدهم يبسطهما على الآخرين فى محنتهم كمعطف ثمين

لقد كنا من الذين كانوا يتمنون لهم مخلصين أن تنقذ حياتهم ، وكنا على أهبة الاستعداد لأن نضحى فى هذا السبيل ، فلو حدث المستحيل ونصبت لهم المشنقة يوماً فى ساحة الأعداء ، فإنا لأنشك فى أنه سوف تحدث مظاهرات شعبية عنيفة لتهدم هذه المشنقة ، وسوف يكون كاتب هذه السطور مع تلك المظاهرات المقدسة إذ يجب علينا أن نقول كذلك فى صراحة ، أنه إذا قورنت كل المشائق فى أوقات الأزمات السياسية ، فإن المشنقة السياسية تكون أبشعها وأكثرها شؤماً وأوفرها سما وأجدرها بالازالة على الإطلاق . إن هذا الضرب من المقصلة تبت جذوره فى الشارع ، ويترععرع فى وقت وجيز لينتشر فى الأرض . ففى وقت الثورة ، خدوا جذركم لأول رأس يهوى ، لأنه يفتح شهية الشعب

لقد كنا أكثر متفهمين شخصياً مع الدين كانوا يريدون انقاذ

رءوس الوزراء الاربعة ، كنا متفقين معهم على اية صورة من الصور ، وذلك لاسباب عاطفية واخرى سياسية ، وانما كنا نؤثر فقط أن يتخير البرلمان فرصة غير هذه لاقتراح الغاء عقوبة الاعدام

ولو أنهم اقترحوا هذا الالغاء لا بمناسبة سقوط اربعة وزراء من قصر التويلرى ( قصر الحكم ) الى سجن « فانسين » ، بل من أجل أى مجرم عادى ، من أجل واحد من هؤلاء البائسين الذين لاتدقق النظر اليهم حينما يمرون على مقربة منك فى الطريق ولا تبادلهم الحديث ، وتتجنب الاحتكاك بهم بغريزتك لقدارة ملبسهم ، هؤلاء التعساء الذين كانت طفولتهم جريا فى العراء وهم حفاة فى الوحل عند تقاطع الشوارع ، يرتجفون من البرد شتاء على قارعة الطريق ، ويستدفئون على دخان المطابخ ، مطابخ مطعم « مسيو فيفور » العظيم ، الذى تتناول طعامك فيه ، وهم ينقبون هنا وهناك عن كسرة من الخبز فى وسط القمامة ويمسحونها قبل ان يتبلغوا بها ، ثم ينبشون عن غيرها . وليس لهم من تسلية الا ذلك المنظر المجانى ، منظر عيد الملك ، ومنظر المحكوم عليهم بالموت ، وهم فى ساحة الاعدام ، وهذا المشهد الاخير بالمجان كذلك . يالهم من بائسين مساكين يدفع بهم الجوع الى السرقة ، وهذه تدفع بهم الى الباقي . . ! انهم اطفال محرومون فى مجتمع قاس تأخذهم اصلاحيات الاحداث فى سن الثانية عشرة ، والليمان فى الثامنة عشرة ، وتلقفهم المشنقة فى سن الاربعين . انهم

سيئو الحظ ، وكان في وسعكم بمدرسة ومصنع أن تجعلوا منهم اناسا طيبين صالحين ، اناسا نافعين ذوى خلق كريم . انهم سيئو الحظ لانكم لاتدرون ماذا تفعلون بهم الا أن تلقوا بهم كما يلقي المرء بحمل لانفع فيه ، تارة فى ليان « طولون » واخرى فى مقبرة « كلامار » ، لتسلبوهم الحياة بعد ان تكونوا قد سزقتهم الحرية منهم . . فلو انكم اقترحتم الغاء عقوبة الاعدام من اجل واحد من هؤلاء الرجال ، لكنت جلستكم اذن مجيدة حقا ، وعظيمة وجليلة ومقدسة وجديرة بالتبجيل . فمئذ ان دعا قساوسة « ترانت » العظماء الخارجين على الكنيسة الى الاجتماع بهم باسم الرحمة الالهية ، اذ كانوا يأملون هدايتهم ، لم نر قط جماعة من الرجال قدمت للعالم ما هو اكثر عظمة ونبلا وشفقة ببنى البشر من هذا المشهد . لقد كان من الواجب دائما على اولئك الذين هم اقوياء وعظماء حقا ان يعنوا بالضعيف ، وان يهتموا بأمر الصغير . ان جمعية من البراهمة كانت تكون جميلة لو انها عنيت بأمر الفقير المعدم، وقضية الفقير المعدم هنا ليست الا قضية الشعب . فلو انكم كنتم الفيتم عقوبة الاعدام من اجل الشعب ، دون ان تنتظروا حتى تكون لكم مصلحة فى ذلك ، لاتمتمم بهذا ما هو اكثر من العمل السياسى ، ولاتمتمم عملا اجتماعيا بمعنى الكلمة

لكنكم لم تنجزوا حتى مجرد عمل سياسى بمحاولتكم الغاء عقوبة الاعدام ، لا التماسا لهذا الالغاء لذاته ، ولكن لانقاذ اربعة وزراء بئسين ضبطوا متلبسين بتهمة التآمر لاحداث

## انقلاب !

لماذا حدث ؟ انكم قد اثرتم الريب والشكوك ، نظرا لانكم لم تكونوا مخلصين . وعندما رأى الشعب ان الغرض هو خداعه لطب على هذه المسألة برمتها وحدث أمر جدير بالملاحظة ، لقد تحمس الشعب لحكم الاعدام مع انه هو الذى يتحمل عبئه كله ! ان افتقاركم الى المهارة هو الذى جعل الامور تسير على هذا النحو ، فأنتم قد اسأتم الى هذه المسألة اساءة طويلة الأمد بمعالجتكم اياها على هذا النحو من اللف والدوران وعدم امراحة . لقد كنتم تمثلون رواية هزلية فصفر النظارة لكم

ومع ذلك ، فقد أخذت بعض النفوس هذه المهزلة مأخذ الجد ، وصدر الامر ، بعد جلسة البرلمان المشهورة مباشرة ، من حامل الاختام - وهو رجل شريف - الى رؤساء النيابة بايقاف تنفيذ احكام الاعدام الى أجل غير مسمى . وكان ذلك خطوة كبرى فى الظاهر ، وتنفس اعداء عقوبة الاعدام الصعداء ولكن فرحتهم لم تتم . كانت وهما قصر الأمد وانتهت محاكمة الوزراء ، ولا اعرف الحكم الذى صدر عليهم ، وانقذت رءوسهم الاربعة ، واختير لهم سجن « هام - Ham » كحل وسط بين الموت والحرية . وبعد ان تمت كل هذه الاجراءات ، تلاشى كل اثر للخوف من نفوس القادة من رجال الحكم ، ومع ذهاب الخوف تلاشت كل المشاعر الانسانية ، ولم يعد أحد منهم يذكر ألفاء عقوبة الاعدام ..

ولما لم يعد من مصلحتهم اثاره هذه المسألة ، عاد الخيال خيالا ،  
وارتدت النظرية الى سيرتها الاولى ، وانقلب الشعر شعرا كما  
كان من قبل

ومع ذلك ، كان لا يزال هناك في السجون بعض البائسين  
من المحكوم عليهم بالاعدام العاديين ، كانوا يتنزهون في ردهات  
السجون منذ خمسة اشهر او ستة ، وهم يستنشقون الهواء  
وقد هدأت أنفسهم منذ اثاره هذه المسألة في البرلمان ، ووثقوا  
من انهم سوف يعيشون وقد اعتقدوا ان ايقاف التنفيذ هذا  
معناه العفو عنهم .. ولكن ، صبرا لحظة !



حقا لقد كان الجلاد خائفا للغاية ، ففي اليوم الذي كان قد  
سمع فيه المشرعين يتحدثون عن الانسانية وعن حب الفير  
وعن التقدم ، ظن انه ضائع لا محالة ! وبلغ من تعاسته انه  
اختبأ تحت مقصلته وهو لا يحس بأدنى سرور او ارتياح تحت  
شمس شهر يوليو ، كبومة في وضوح النهار ، وهو يحاول جاهدا  
ان يجعل الناس ينسون أمره ، وكان يسد أذنيه ، ولا يجرؤ على  
ان يلتقط انفاسه .. لم يعد يراه احد منذ ستة اشهر ، ولم  
يكن احد يدري ما إذا كان ميتا أو لا يزال على قيد الحياة ،  
ومع ذلك فقد اخذ الرجل يطمئن رويدا رويدا في ظلماته ، وكان  
ينصت الى ما كان يدور في البرلمان فلم يعد يسمعهم ينطقون  
باسمه ، ولم يعد يسمع تلك الكلمات الرنانة التي كانت قد  
القت في قلبه الرعب . لم تعد ثمة تعليقات بليغة عن كيفية

معالجة الجرائم والعقوبات ، فقد كانوا يهتمون بأشياء أخرى على شيء من الخطورة فيما يختص بمصلحة المجتمع ، كطريق نصل بين قريتين ، أو منح اعانة لمثلى دار الأوبرا ، أو زيادة الميزانية الهزيلة بمقدار مائة ألف من الفرنكات !! لم يعد يفكر فيه أحد ، هو : قاطع الرءوس !

وما أن رأى الرجل ذلك حتى اطمان قلبه ، وأطل برأسه خارج الحجر مقلبا بصره فى جميع الاتجاهات ، ثم خطا الى الامام خطوة أو خطوتين ، كما يفعل أى فأر من فئران الشعاع « لافونتين » ، وبعد ذلك خاطر بأن خرج تماما من مخبئه ، ثم قفز على المقصلة وأخذ يعدها ويمسحها ويصلح من شأنها ، ثم لمعها وداعبها وجربها « على الفاضى » وهو يعد نفسه بأن يقدم عملا لهذه الآلة القديمة التى علاها الصدا واتلفتها البطالة !!

وتلفت الجلاد خلفه فجأة ، وامسك بأحد هؤلاء المنكودى الحظ كما سمحت له الصدفة فى أول سجن صادفه ، أحد هؤلاء الذين كانوا يعولون على الحياة ، أمسك به من شعره وجذبه اليه ، ثم جرده من ملابسه ، وشد وثاقه ، وأعدمه . . وهكذا عادت عقوبة الاعدام !

ان هذا كله شيء شنيع . . ولكنه التاريخ !

نعم ، لقد كانت هناك فترة مدتها ستة أشهر أجل فيها تنفيذ عقوبة الاعدام ومنحت لمسجونين تعساء ، ضوعفت لهم العقوبة مجانا على هذا النحو يجعلهم يأملون فى الحياة ويتعلقون

بها ، ثم .. بلا سبب .. ولغير ضرورة ، ولمجرد اللذة الفنى  
وقف تنفيذ احكام الاعدام ذات صباح ، وقطعت رءوس كل  
هؤلاء الناس فى برود شديد وبطريقة منظمة .. آه ! ..  
يا الهى ! هل لى ان أسالكم : ما ضرنا نحن جميعا لو عاش هؤلاء  
الرجال ؟ الا يوجد فى فرنسا هواء يكفى الجميع ؟

ونظراً لان كاتبنا صغيراً فى الحكومة كان لايعنيه الامر، نهض  
من على مقعده ذات يوم ، وهو يقول : « هيا بنا ! .. لم يعد  
احد يفكر فى الغاء عقوبة الاعدام . لقد حان الوقت لنعود الى  
قطع الرقاب بالمقصلة ! » لابد ان يكون قد حدث فى قلب هذا  
الرجل امر وحشى ، امر بالغ الشناعة !

ونرى لزاماً علينا ان نقول من ناحية اخرى انه لم تصاحب  
تنفيذ احكام الاعدام ظروف اكثر بشاعة قط الا منذ الغاء  
وقف تنفيذ احكام الاعدام ، الذى صدر الامر به فى شهر يوليو  
- ولم تكن قصص ما يجرى فى ساحة الاعدام قط اكثر اثاراً  
للنفوس ، مما يبرهن تماماً على مقت الناس لعقوبة الاعدام  
.. ان ازدياد فزع الناس من هذا الحكم انما هو عقاب عدل  
موجه لأولئك الذين أعادوا تطبيق قانون الدم ، فليلقوا جزاء  
وفاقاً على ما صنعوه



ويجب ان نذكر هنا مثلين او ثلاثة امثال لما حدث فى بعض  
وقائع الاعدام ، مما ينضح بشاعة وقذارة . يجب علينا ان  
نرهب أعصاب زوجات وكلاء النيابة ، فالمرأة لها اثرها أحياناً فى

## ابقاظ الضمير

في نهاية شهر سبتمبر الماضي على وجه التقريب ، وفي  
اواسط فرنسا - ولا يحضرنا تماما المكان ، واليوم ، واسم  
المحكوم عليه ، ولكننا سوف نعثر على هذا كله اذا حدث أن  
شك احد او عارض في صحة هذه الواقعة - ونعتقد ان ذلك  
حدث في « باميه » . فقد دخلوا على رجل في سجنه حيث  
كان يلعب الورق في هدوء ، فاءانوه بأنه سوف يموت بعد  
ساعتين ، فأرسل هذا القول رجفة قاسية في كل اوصاله .  
ذلك انهم كانوا قد نسوا امره لسته اشهر فلم يعد يفكر في  
الموت . . وحلقوا للرجل لحيته ، وقصوا له شعره ، وأوثقوه  
بالحبال ، وجعلوه يعترف امام القسيس . ثم اركبوه عربة  
« كارو » بين أربعة من الجنود ، ومروا به خلال الجماهير  
حتى وصلوا الى مكان التنفيذ

والى هنا ، فالأمر يهون ، اذ أنه يتم على هذا النحو .  
ولما بلغ الرجل مكان الآلة الرهيبة تلقاه الجلاد من القسيس ،  
وحمله وربطه على المقصلة ، ثم جعله يطأطء رأسه وهوت  
السكين . لقد تحرك المثلث الحديدى الثقيل في صعوبة ثم  
عوى وهو يحك في مجراه ! وهنا بدأت البشاعة ، فقد اخذت  
السكين تحز في رقبة الرجل دون ان تذبجه ، فصاح صيحة  
بشعة . وحرار الجلاد في الامر فرفع السكين ثم تركها تهوى  
من جديد . فعضت رقبة المسكين مرة اخرى ولكنها لم  
تقطعها . فصرخ المحكوم عليه ، وصاح الجمهور كذلك ، فرفع



الجلاد السكين مرة ثالثة وهو يأمل خيراً فى الضربة الثالثة ولكن  
.. بلا جدوى !

ان الضربة الثالثة قد فجرت نهرا ثالثا من الدماء اخذ يجرى  
على رقبة المحكوم عليه ولكنها لم تطح برقبته !  
والآن فلنوجز : ان السكين قد رفعت ثم هوت خمس مرات  
وخمس مرات جرحت المحكوم عليه ، وخمس مرات صرخ  
الرجل من اثر الضربة ، وهز راسه انحنى وهو يطلب الرحمة !  
فثار الشعب وأمسك بأحجار ليرجم بها الجلاد ألتعس ، فهرب  
الجلاد تحت المقصلة واحتوى خلف خيول الجنود .. ولكن  
هذه ليست نهاية المأساة ..

ان المحكوم عليه حينما وجد نفسه وحيدا على المقصلة ،  
اعتدل على اللوحة الخشبية وظل واقفا هناك بمنظره المفزع ،  
وهو يقطر دما ويسند راسه نصف المقطوع ، الذى كان  
يتدلى على كتفه ، وراح يطلب فى صياح مبجوح أن يفكوا وثاقه!  
فغمرت الشفقة قلب الجمهور ، وهم بان يقتحم نطاق الجنود  
وان يخف لنجدة هذا البائس الذى نفذ فيه حكم الاعدام  
خمس مرات . وفى تلك اللحظة بالذات ، صعد على المقصلة  
صبي الجلاد ، وهو شاب فى نحو العشرين من عمره ، وأمر  
المحكوم عليه بأن يستدير كى يفك وثاقه ، ثم استغل وضع  
هذا الرجل المشرف على الموت ، الذى كان يسلم نفسه اليه  
بسلامة نية ، فوثب على ظهره وشرع يقطع له فى صعوبة ما كان  
قد تبقى من رقبته بسكين جزار !

ان هذا قد حدث وراه الناس راي العين .. نعم ، رآوه  
راى العين !

وكان هناك بحسب نص القانون ، قاض يشهد تنفيذ هذا  
الحكم . وكان يستطيع بإشارة منه ان يوقف كل شيء !  
لماذا كان يفعل هذا الرجل اذن وهو فى عربته بينما كانوا  
يفتالون انسانا ؟ ماذا كان يفعل معاقب القتلة هذا فى الوقت  
الذى كانت عملية اغتيال تجرى فى وضع النهار ، امام عينيه ،  
وتحت خيول عربته ، وتحت زجاج نافذتها ؟  
لم يقدم القاضى للمحاكمة ! ولم يقدم الجلاد للمحاكمة ،  
ولم تحقق اية محكمة فى هذا الافناء الوحشى لجميع القوانين  
فى شخص مخلوق مقدس من مخلوقات الله !

⌈

فى عصر همجية القانون الجنائى فى القرن السابع عشر ،  
ابان حكم « ريشيليو » وحكم « كريستوف فوكيه » ، حينما  
اعدم السيد « دى شاليه » امام الناس فى ميدان بمدينة « نانت »  
على يدي جندي غير ماهر ضربه اربعا وثلاثين ضربة (١) بألة  
حاددة يستعملها صانع البراميل فى تجميع الخشب ، وذلك  
بدلا من ان يضربه ضربة واحدة بسيف ، بدا هذا على الاقل  
أمرا غير مشروع فى نظر برلمان باريس ، فأجرى تحقيقا  
وأقيمت قضية • ولئن كان ريشيليو لم يعاقب ، ولئن كان

---

(١) يقول لا بورت انها اثنتان وعشرون ضربة ويقول « اوبرى » انها  
اربع وثلاثون .. وكان مسيو « دى شاليه » يصرخ فى كل مرة حتى الضربة  
العشرين !

كريستوف فوكيه لم يعاقب ، فان ذلك الجندي قد لقي جزاءه . كان هذا ظلما دون شك ، ولكنه ظلم يكمن العدل وراءه !

اما هنا، فلم يحدث شيء على الاطلاق . لقد وقع هذا الحادث بعد شهر يوليو في وقت سادت فيه الطباع الرقيقة والتقدم ، وبعد عام واحد من « محزنة » البرلمان المشهورة على عقوبة الاعدام . حسنا ! ان هذا الحادث لم يذكره احد على الاطلاق ، ونشرته صحف باريس كأنه حكاية عادية ، ولم يحاكم أحد بسببه ولم يوجه الاتهام الى أحد !

كان كل ما عرفوه أن المقصلة قد اتلفت عمدا ، اتلفها شخص كان « يريد ان يضر بمنفذ احكام القضاء » ، كان هذا الشخص هو أحد خدم الجلاد ، وقد دبر هذه المكيدة لينتقم من سيده لانه كان قد طرده من خدمته

لم تكن هذه الا مكيدة خادم ، فلنتابع سرد امثلتنا اذن :

وفي مدينة « ديجون » ، سيقنت امرأة منذ ثلاثة اشهر الى ساحة الاعدام ، ( تصوروا .. امرأة ! ) ، وفي هذه المرة ايضا لم تؤد سكين الدكتور جيوتان (١) عملها كما يجب ، فلم تقطع الرأس تماما بحيث ينفصل عن الجسم . وعندئذ ، تعلق مساعدو الجلاد بقدمي المرأة ، وفصلوا رأس البائسة عن جسدها وهي تطلق صرخات مدوية ، بأن أنتزعوها أنتزاعا

---

(١) يعنى المقصلة التي عرفت في فرنسا منذ الثورة الفرنسية بهذا الاسم ، نسبة الى مخترعها الدكتور جيوتان - المترجم

## بلوة الشد والجذب

وفى باريس ، نعود الى الوقت الذى كان يجرى فيه تنفيذ عقوبة الاعدام فى السر . فنظرا الى انهم كانوا منذ شهر يوليو لاجراءون على تنفيذ احكام الاعدام فى ساحة الاعدام ، والى انهم كانوا خائفين ، وبما انهم كانوا جبناء ، فان هذا هو ما حدث :

نقد اخذوا اخيرا من سجن « بيستر » رجلا محكوما عليه بالاعدام ، يدعى « ديزاندريو » على ما اعتقد ، ووضعوه فى شىء يجر على عجلتين ، مفلقا من كل نواحيه كسلة ، ومقفلا قفلا محكما بالاقفال والمزاليج ، ثم ساروا به دون جلبه وبلا جمهور يرافقه ، بين جنديين احدهما امامه والآخر من خلفه ، ثم القوا بالسلة والرجل الذى فيها فى وسط الحقل خارج باريس ، فيما وراء حى « سان جاك » . . وكانت الساعة الثامنة صباحا فى مطلع النهار عندما وصلوا الى هناك ، وكانت هناك مقصلة « طازجة » لم تستعمل بعد اعدت خصيصا لهذا الرجل ، وكان الذين شهدوا هذا المنظر بضعة غلمان صغار اجتمعوا على كومة احجار قريبة حول تلك الآلة التى نصبت على غير انتظار . . ثم اخرج الرجل من السلة فى سرعة ، ودون ان تتاح له اية فرصة ليلتقط أنفاسه ، ثم قطع رأسه خلسة فى صورة تنطوى على الخيانة والعار ! . . وهذا هو ما يسمونه « عملا رسميا وعاما من أعمال العدالة الكبرى » ، فيالها من سخريه دنيئة !

فكيف اذن يفهم رجال الملك كلمة المدنية ؟ وفي اى عصر  
نفيش ؟ ان العدالة قد انحطت حتى اضحت حبلا وخططا  
فيالشناعة !

ان الشخص المحكوم عليه بالاعدام اذن شئ مخيف للغاية  
يخشى المجتمع بأسه ، وياخذ حذره منه الى هذا الحد وعلى  
هذا النحو !

ومع ذلك ، فلنكن منصفين ! ذلك ان تنفيذ عقوبة الاعدام  
لم يكن بطريقة سرية تماما . ففي الصباح ، نادى المنادون  
كالعتاد ، وبيع حكم الاعدام فى شوارع باريس وميادينها . .  
ويبدو ان هناك اناسا يعيشون من بيع هذه الاشياء ، فهل  
تسمعون ؟ انهم يتخذون من جريمة انسان سيء الحظ ومن  
عقابه وعذابه واحتضاره سلعة تباع الورقة منها بدرهم ! فهل  
فى وسعكم ان تتخيلوا شيئا اكثر قبحا من هذا الدرهم الملطخ  
بالدم ؟ فمن ذا الذى يلتقطه اذن من بينكم ؟

تلك وقائع كافية ، كافية اكثر مما ينبغى . . اليس هذا  
كله شيئا مروعا ؟ فماذا لديكم تستطيعون به ان تؤيدوا عقوبة  
الاعدام ؟

اننا نلقى عليكم هذا السؤال بصورة جدية ، نلقيه عليكم  
كى تجيبونا عنه . اننا نوجهه الى علماء الجريمة لا الى المثقفين  
الثرثارين ، فنحن نعلم ان هناك من يؤيد عقوبة الاعدام ، لاشئ  
الا ليخالف بذلك رأى الغير كما يفعل فى كل شئ . وان هناك  
آخرين لا يحبون عقوبة الاعدام الا لانهم يكرهون زيادا او عمرا

من بهاجمونها ، فهي بالنسبة اليهم مسألة كلام ... مسألة اشخاص .. مسألة افراد يسمون فلانا وفلانا . هؤلاء هم الحساد ، وكثيرون منهم من المشرعين ومن كبار الفنانين ، ومثلهم كمثل « جوزيف جريبا » في معارضته « لفيلانجيري » ، وكمثل « توريجيانى » فى تقده « لمايكل انجلو » ، وكمثل « سكوديرى » لى تحديه للكاتب المسرحى « كورنى » ،

انا لا نتوجه بالحديث الى هؤلاء الناس ، وانما الى رجال القانون بمعنى الكلمة ، والى المفكرين وذوى المنطق السليم ، الى اولئك الذين يحبون عقوبة الاعدام لانها عقوبة الاعدام ، يحبونها لجمالها وطيبتها وحسنها !

هيا اذن .. فليدلوا بدلوهم ، وليقدموا لنا حججهم يقول الذين يحاكمون غيرهم ويصدرون عليهم الاحكام ان عقوبة الاعدام امر ضرورى ، اولا : « لان من الضرورى ان نبتز من المجتمع عضوا قد اساء اليه من قبل وقد بسىء اليه بعد ذلك » . فاذا كان الامر مقصورا على ذلك فالسجن المؤبد يكفى . فلماذا الموت اذن ؟ افتترضون انه يمكن الفرار من السجن ؟ حسنا .. فلتشددوا الحراسة . فان كنتم لاتثقون من متانة القضبان الحديدية ، فكيف تتجرءون على ان تحبسوا وراءها الوحوش الضارية ؟

ليس ثمة ما يدعو الى وجود الجلاد مادام السجن يكفى ولكنهم يستطردون فيقولون : « ان المجتمع يجب ان يثار لنفسه وان يعاقب . » كلا ، لا هذا ولا ذاك ، فالثأر شيء

فردى ، أما العقاب فييد الله «

والمجتمع بين اثنين : العقاب فوق المجتمع ، والانتقام اقل منه . الاول كبير للغاية ، والثانى صغير للغاية ، وكلاهما لا يلائمه . ومن واجب المجتمع الا « يعاقب لينتقم » ، بل ان « يطّلع ليصل الى ماهو احسن » . فغفروا اذن صيغة علماء الاجرام على هذا النحو ، فنحن نفهمها ونقبلها على هذا التعديل

يبقى السبب الثالث والاخير ، وهو نظرية ضرب المثل : « يجب ان يضرب المثل الرادع ! .. يجب الارهاب بمنظر المصير الذى ينتظر المجرمين ، نلقى به الخوف فى قلوب الذين يميلون الى محاكاتهم ! » . ان هذه العبارة تكاد تكون بالحرف الواحد تلك الجملة الخالدة التى يرددها ممثلو الاتهام فى « النيابات » الخمسمائة الموجودة فى انحاء فرنسا مع تغيير طفيف رنان !

حسنا . . . اننا ننكر اولاً ان هناك مثلاً وعبرة ، ننكر ان منظر التعذيب ياتى بالنتيجة المرجوة منه ، فهو بدلاً من ان يهذب الشعب ، يضعف من روحه المعنوية ويقتل لديه كل شعور ، وبالتالي كل فضيلة . والادلة على هذا كثيرة ، يزدحم بها استدلالنا لو اردنا ان نذكرها . ومع ذلك فسوف نسوق واقعة من بين ألف واقعة ، ذلك لانها وقعت حديثاً جداً ونحن نكتب ، منذ عشرة ايام فقط ، وهى ترجع على التحديد الى يوم ٥ مارس الماضى ، يوم المهرجان

فقد حدث في مدينة « سان بول » ، عقب اعدام رجل يدعى « لويس كلمى » مباشرة ، وكان قد ارتكب جريمة حريق ، حدث ان جاء نفر من المثلثين ليرقصوا حول المشنقة وهى لاتزال ساخنة ، وكان ذلك في يوم من ايام الاعياد المسيحية ! .. فاضربوا المثل اذن التماسا للعبرة !

نعم ، نعم .. انكم تستمسكون بنظريتكم الروتينية في المثل رغم التجربة . فلنعد اذن الى القرن السادس عشر ، وعليكم ان تكونوا مرعبين حقا ! اعيدوا مختلف انواع التعذيب .. اعيدوا الينا « فاريناتشى » والاشخاص الذين كانوا يكلفون رسميا بالتعذيب .. اعيدوا لنا الصلب والحرق وتمزيق الاوصال واقتلاع الاظافر وقطع الاذن ودفن المرء حيا وعلى اعضاء الجسم والمرء حى يعيش !! اعيدوا لنا عند كل ناصية في شوارع باريس ، منظر الجلاد البشع كأنه حانوت جديد مفتوح كبقية الحوانيت ، ومزود بصفة مستمرة باللحم الأدمى الطازج ! اعيدوا الينا ساحة الاعدام التى كانت مهياة في « مونفوكون » بقواعدها الحجرية الست عشرة ، وجلاديتها الجالسين و « بدروماتها » المملوءة بالعظام ، والواح التعذيب الخشبية ، و « كلاباتها » ، وسلاسلها ، وخوازيقها ، وغربانها التى تنهش جثثها العفنة !! نعم ، اعيدوا ساحة الاعدام هذه مع المشانق الملحقة بها ورائحة الجثث النتنة التى كانت رياح الشمال الغربى تنقلها وتحملها معها على طول حى « التامبل » في ضواحي باريس !! اعيدوا الينا صبي جلاد باريس العظيم في قوته



وسطوته واستمراره وجبروته ! .. حسنا ! .. هذا هو  
مثلكم بصورة مكبرة ! ! هذه هي عقوبة الاعدام مفهومة فهما  
جيذا . انها طريقة للتعذيب على نطاق واسع ، وهذا هو  
الشيء الشنيع المروع !

• اوه ! افعلوا ما يفعلونه في انجلترا ففي انجلترا - وهي بلاد  
التجارة - ياخذون مهربا الى ساحل « دوفر » حيث يشنقونه  
ضربا للمثل ، ولضرب المثل ايضا يتركونه معلقا في جبل  
المشنقة ! ولكن ، نظرا الى ان تقلبات الجو قد تلف الجثة ،  
فانهم يغلفونها في عناية بقماش مدهون بالقطران ، وذلك حتى  
لا يضطربهم الامر الى تجديد هذا الغلاف الا اقل عدد ممكن من  
المرات .. فياله من بلد يتوخى الاقتصاد ! بلد يطلون فيه  
المشنوقين بالقطران !

ومع هذا ، فان ذلك فيه شيء من المنطق ، فهو اكثر الطرق  
انسانية لفهم نظرية المثل

ولكن انتم .. اصحيح انكم جادون حقا ، اذ تعتقدون انكم  
تضربون مثلا حين تقطعون رقبة انسان بائس ، بطريقة تعسة  
في ركن قصي مهجور من مشارف العاصمة ؟ قد يكون هذا  
مقبولا لو انه تم في ساحة الاعدام ، وفي وضوح النهار ! ولكن ،  
ان يحدث ذلك في حقول ضاحية من ضواحي باريس .. في  
« سان جاك » ؟ .. وفي الثامنة صباحا والنهار لم يكذ يطلع  
بعد ؟ من ذا الذي يمر من هناك ؟ ومن ذا الذي يرى ذلك ؟  
ومن ذا الذي يعرف انكم تقتلون رجلا في ذلك المكان ؟ ومن

دا الذى يشك فى انكم تضربون مثلا هنالك ؟ مثلا لمن ؟ لاشجار  
الطريق طبعا !

افلا ترون اذن ان تنفيذكم لحكم الاعدام علنا يتم خلسة ؟  
افلا ترون اذن انكم تختبئون ؟ وانكم تخافون وتخجلون من  
فعلتكم ؟ وانكم تتمتمون على نحو يدعو الى السخرية قائلين ان  
هذه هى العدالة ؟ انكم فى الواقع خجلون وجلون ايها السادة ،  
ومزعزعون قلقون ، وغير واثقين من انكم على حق ، وان الشك  
الذى لدى الجميع قد تسرب الى نفوسكم ، وانكم تقطعون  
الرءوس على سبيل « الروتين » ودون ان تعرفوا تماما ما  
نعملون ! افلا تشعرون فى قرارة انفسكم انكم قد فقدتم على  
الاقل الشعور الاخلاقى والاجتماعى برسالة الدم التى كان  
اسلافكم القضاة العتاة يؤدونها بضمير مطمئن للغاية ؟ وفى  
الليل ؟ افلا تتقلبون على وسائدكم اكثر مما كانوا يتقلبون ؟  
ان آخرين من قبلكم قد امروا بتنفيذ العقوبة القصوى ، عقوبة  
الاعدام ، غير انهم كانوا يعتقدون انهم على حق ، وانهم عدول  
وانهم يحسنون صنعا . ان « جوفينيل ديزرسان » كان يعتقد  
انه قاض ، و « ايلى دى توريت » كان يعتقد انه قاض ،  
و « لو باردومون » و « لارينى » و « لافوماس » كانوا  
يعتقدون انهم قضاة .. اما انتم .. اما انتم فليستم موقنين  
تماما فى قرارة انفسكم انكم لستم قتلة !

انكم تتركون ساحة الاعدام الى صاحبة « سان جاك » ،  
وتفرون من الجمهور الى العزلة ، ومن النهار الى الفسق ،

ولا تقومون بما تقومون به في ثقة وثبات . ولست أتردد في أن أقول لكم : انكم تختبئون !

هذه هي كل الاسباب التي تنتحلونها لعقوبة الاعدام قد تحطمت اذن ، وهذا هو منطق ممثلى الاتهام بأسره قد أصبح عدماً ، وهذه كل مرافعات النيابة قد فندت فصارت رمادا . ان اقل لمسة من المنطق لا بد أن تذيب كل تفكير معوج

انه لا ينبغي اذن ان يأتينا رجال الملك بعد الآن يطالبوننا - نحن المحلفين - براءوس جديدة ، نحن الرجال ، وهم يرجوننا في صوت يداعبنا باسم المجتمع الذي تجب حمايته ، وباسم الثار للشعب ، أن نضمن لهم ضرب المثل الرادع . ان هذا كله ليس الا بلاغة وكلاما أجوف ، ليس الا مجرد بالون منفوخ تكفى وخزة بسيطة من دبوس ، كى تحيله الى لا شىء ، اذ ليس وراء هذه الثرثرة الحلوة غير قسوة القلب والشراسة والهمجية ، والرغبة في اظهار التحمس للعمل وضرورة كسب العيش . اصمتوا أيها السادة ، فاننا نحس بمخالب الجلاد تحت انامل القاضى الحريرية !

انه ليشق علينا ان نفكر في برود في أمر مدع عام جرىء . انه رجل يكسب عيشه بارسال الآخرين الى المشنقة ، فهو المورد الرسمى لساحات الاعدام ! ومن ناحية أخرى ، فهو رجل يزعم لنفسه الاسلوب الادبى الجميل ، وهو ذلق اللسان ، او يحسب انه كذلك ، ويردد عند الحاجة بيتا او بيتين من الشعر اللاتينى قبل ان يسوق انسانا الى الموت ، ويحاول جاهدا أن

يحدث في مستمعيه التأثير الذي يريده ، وهو شديد العناية  
بأمر كرامته - يا للشقاء ! هذا في الوقت الذي تكون فيه حياة  
الآخرين في الميزان ، ان لهذا المدعى العام نماذج ، نماذج خاصة  
يتعلم على المرء ان يبلغ مستواها ، مثل «بلار» ، و«مارشانجى»  
تماما كما يكون للشعراء نماذج تحتذى مثل «راسين» أو  
«بوالو» . وفي المناقشات التي تدور في المحكمة ، تراه يجنح  
دائما الى ناحية المقصلة ، ولا غرو فهي دوره ، وهى شغله  
الشاغل . والاتهام الذي يوجهه انما هو عمله الادبى الذي  
يزينه بالاستعارات ، ويعطره بالنصوص ، يستشهد بها كى  
يظفر باستحسان الحاضرين فى الجلسة ، وينتزع اعجاب  
السيدات ، ولديه ذخيرة من الافكار الشائعة التي لا تزال  
جديدة تماما على البيئات الريفية ، وله بلاغته فى التعبير ،  
واسلوبه الرقيق المصطنع الذي يشبه فى رفته أساليب  
الكتاب . انه يكره الكلمة الخالية من الاستعارة ، مقتا يدانى  
المقت الذي يضمه لها شعراؤنا المنتمون الى مدرسة «دوليل»  
فلا تخشوا اذن ان يسمى الاشياء بأسمائها فذلك لن يحدث ،  
اذ ان لديه قناعا كاملا من النعوت والصفات لكل فكرة يمكن  
ان تتركب وهى مجردة عارية . ان فى وسعه ان يجعل الامر  
المفزع مقبولا ، ويخفف من حدة سكين المقصلة ، ويوازن الميزان ،  
ويغلف السلة الحمراء (١) فى غلالة رقيقة من الاستعارات . انه  
رقيق ومتحفظ ، فهل تتصورونه بالليل فى مكتبه ، وهو يتانق

---

(١) اى سلة المقصلة التي يسقط فيها رأس المحكوم عليه عند قطعه

في اعداد هذه الخطبة التي ستُنصب بسببها المشنقة بعد ستة اسابيع ؟ هل ترونه وهو يعرق دما وماء كي يحاصر رأس متهم في أسوأ بند من بنود القانون ؟ وهل تبصرونه وهو « ينشر » رقبة انسان بأس بمنشار قانون أسىء صنه ؟ ألم تلاحظوا كيف ينقع ثلاثة نصوص أو أربعة سامة في نبض من العبارات البليغة ، كي يعبر بها ، ويستخرج منها جهد جهيد موت انسان ؟ أفلا يحتمل أن يكون الجلاد قاعدا الرقصاء عند قدميه في الظلام ، تحت مكتبه وهو جالس يكتب ، وأنه قد يكف عن الكتابة بين آن وآخر ، ليقول له كما يقول السيد لكلبه : « اهدا اهدا ، فسوف تنال عظمتك ! »

ومن ناحية اخرى ، فقد يكون رجل الاناء هذا في حياته الخاصة رجلا شريفا ، و ابا عطوفا ، وابنا صالحا ، وزوجا مخلصا ، وصديقا وفيا .. الى غير ذلك مما تذكره العبارات الطيبة المنقوشة على لوحات القبور في مدافن « لاشيز »

فلنأمل اذن ان ياتي اليوم الذي يلغى به القانون هذه الوظائف المحزنة ، وجو حضارتنا وحده هو السؤل عن القضاء على عقوبة الاعدام في فترة معينة من الزمن

ويغلب على ظننا في بعض الاحيان ان الذين يدافعون عن عقوبة الاعدام لم يفكروا فيها فيحسنوا التفكير . ولكن ، ضعوا اذن بعض الجرائم في الميزان ، فهذا القانون العنيف يخول للمجتمع الحق في ان يسلب من الانسان شيئا لم يمنحه اياه ، وهذه العقوبة انما هي اكثر العقوبات التي لا يمكن اصلاح

نتائجها واشدها استعصاء على الاصلاح !

ذلك ان املكم امرين لا ثالث لهما :

فاما ان يكون الرجل الذى تقضون على حياته لا اسرة له ولا اهل ولا روابط في هذا العالم ، وفي هذه الحالة لا يكون قد تلقى تربية او تعليما او عناية ما ، بنفسه او بقلبه .. فباى حق اذن تقتلون هذا اليتيم البائس ؟ اتعاقبونه لانه كان يزحف في طفولته على ارض لاسند له فيها ولا مرشد ولا معين ؟ انكم تعاقبونه اذن على العزلة التى تركتموه يهيم فيها على وجهه ، وتجعلون من مصيبته هذه جريمة ، وهو الذى لم يعلمه احد ماذا كان عليه ان يفعل ! انه رجل جاهل ، والخطأ ليس خطاه ولكنه خطأ القدر .. انكم تعاقبون بريئا !

واما ان هذا الرجل ذو اسرة . فهل تحسبون عندئذ ان الضربة التى تقطعون بها رقبتة لا تصيب الا اياه ؟ وان اباه ، وامه ، واولاده لن يقطروا دما كذلك ؟ كلا ، فانتم بقتله انما تقطعون رقبات اسرة بأسرها . فانتم هنا كذلك تعاقبون الابرياء !

ان عقوبة الاعدام عقوبة بشادة عمياء ، على اى وجه نقلها نجدها تصيب البريء !

اسجنوا هذا الرجل ، هذا المذنب الذى له اسرة ، فسوف يستطيع وهو في سجنه ان يتابع العمل من اجل ذويه ، اذ كيف يكون في وسعه ان يعولهم وان يجعلهم يعيشون وهو راقد في قاع قبره ؟ ترى هل تفكرون دون ان تاخذكم الرجفة فيما

سيئول اليه امر هؤلاء الاولاد انصغار ، والبناات الصغيرات  
الذين تنتزعون منهم والدهم ، اعنى لقمة العيش ! ام هل  
تعولون على هذه الاسرة لتزودوا بها الليمان بعد خمسة عشر  
عاما ؟ .. آه ! يا للابرياء المساكين !

عندما يصدر حكم بالاعدام على عبد رقيق في المستعمرات ،  
فأنهم يدفعون لصاحبه ومالكة تعويضا مقداره الف فرنك !  
ماذا ايها السادة ؟ انكم تعوضون خسارة السيد ولا تعوضون  
الاسرة شيئا ! وهنا ايضا بالله عليكم ، الا تنتزعون رجلا من  
بين ذويه اصحاب الحق فيه ؟ او ليس هو ملكا لوالده  
ولزوجته ولابنائه الى حد يبلغ في القداسة اكبر كثيرا من درجة  
ملكية السيد لعبده ؟

لقد سبق لنا ايها السادة ان اتهمنا قانونكم هذا بانه اغتيال ،  
وهانحن اولاء نتهمه الآن بانه سرقة

وثمة شيء آخر : فهل فكرتم في روح هذا الرجل ؟ وهل  
تجرءون على ازهاقها بمثل هذه السرعة ، وبمثل هذا  
الاستخفاف ؟ فيما مضى ، على الاقل ، كان هناك شيء من  
الايمان في قلوب الناس ، وفي اللحظة الحاسمة كانت نفحة  
الدين المنبثة في الهواء تلين اكثر القلوب قسوة وصلابة ، فكان  
المحكوم عليه في نفس الوقت تائبا يكفر عن ذنب قد ارتكبه ،  
وكان الدين يفتح امامه عالما ، في نفس اللحظة التي كان المجتمع  
فيها يفلق في وجهه عالما آخر . كانت النفوس جميعا تثق  
بالله ، ولم تكن المشنقة الا حدا من حدود السماء . اما الآن ،

فما هو الامل الذى تضعونه فى مشنقة لا تؤمن بها الغالبية العظمى من الجماهير ؟

ليست هذه من غير شك الا « اسبابا عاطفية » كما يقول بعض الذين يزدرون العاطفة ولا يستمدون منطقهم الا من رءوسهم ، غير انها فى نظرنا هى افضل الاسباب ، ونحن غالبا ما نفضل الاسباب العاطفية على العقلية . ويجب علينا الا ننسى من جهة اخرى ان النوعين يتساندان على الدوام ، فكتاب « قانون الجرائم » (١) مأخوذ من كتاب « روح القوانين » (٢) ، و « مونتسكيو » هو الذى انجب « بيكاريا »

ان المنطق معنا ، والعاطفة معنا ، والتجربة تؤكد وجهة نظرنا كذلك . ففى الدول النموذجية حيث انفيت عقوبة الاعدام ، اخذ مجموع الجرائم الكبرى يقل باطراد عاما بعد عام ، فأدخلوا هذا فى حسابكم

ومع ذلك ، فاننا لا نطالب فى الوقت الحاضر بالغاء عقوبة الاعدام الفاء تاما وبطريقة فجائية على النحو الطائش الذى اتبعه مجلس النواب ، بل نريد ، على العكس ، ان نجرب كل المحاولات ، وان نتخذ كافة الاحتياطات ، وان نلزم فى هذا الحذر كل الحذر . ومن جهة اخرى ، فاننا لانريد الغاء عقوبة الاعدام فحسب ، وانما نريد كذلك تعديلا شاملا لكل انواع العقوبات من اولها الى آخرها ، من الحبس البسيط الى

---

(١) تأليف « بيكاريا »

(٢) تأليف « مونتسكيو »



المقصلة ، مع ملاحظة أن الزمن يعتبر أحد العوامل التي تجب مراعاتها في عمل كهذا ، حتى يتم على الوجه الاكمل . وفي نيتنا ان نكتب المزيد في هذا الموضوع شارحين الطرق والافكار التي تبدو في نظرنا عملية ممكنة التطبيق . ولكن ، اذا استثنينا الغاء حكم الاعدام جزئيا في حالات تزيف النقد ، والحريق ، والسرقه المصحوبة بظروف مشددة ، الى غير ذلك ، فاننا نطالب منذ الآن ، وفي جميع القضايا الكبيرة ، بأن يلتزم رئيس المحكمة بأن يسأل المحلفين هذا السؤال : هل ارتكب المذنب جريمة بدافع من العاطفة او بدافع المنفعة ؟ فاذا جاء رد المحلفين بأن « المتهم قد ارتكب ما ارتكب بدافع العاطفة » فيجب الا يصدر عليه حكم بالاعدام .. فهذا كفيل على الاقل بأن يبعد عنا بعض احكام الاعدام التي تثير نفوسنا ، وكان ذلك خليقا بأن ينقذ حياة كل من « اولباخ » و « ديباكير » ، وهو خليق كذلك بأن ينقذ رقبة من يقف موقف « عطيل » (١)

**othello في المستقبل**

ومن جهة اخرى ، فاننا يجب الان نخدع ، فمسالة عقوبة الاعدام هذه تنضج يوما بعد يوم ، وسوف يحلها المجتمع بأسره ، كما نفعل ، قبل انقضاء وقت طويل . فليحذر علماء الجريمة المعاندون ، فقد اخذت احكام الاعدام تتناقص منذ قرن من الزمان ، واخذت تجنح تقريبا نحو شيء من اللين

---

(١) اشارة الى جريمة عطيل في زاوية شكبير المعروفة عندما قتل زوجته بسبب اغيرة التاججة

والحنان ، وهذا نذير شيخوخة واضمحلال . انه علامة من علامات الضعف ، علامة موت قريب . لقد انتهى زمن تعذيب المدمنين وربطهم على العجلة ، وولى عصر صلب المحكوم عليهم .. بل ان المقصلة ذاتها عبارة عن تقدم ! .. ان هذا لايه عجيب ! لقد كان « السيد جيوتان » (١) انسانا خيرا  
حقا !

نعم .. ان هذه الآلة ذات الاسنان والتروس الرهيبة التي ألهمت عددا ضخما من الرعوس - آلة « فازمناتشي » و « فوجلانس » و « دولانكر » و « اينزاك لوازيل » و « أوبيد » و « ماشوه » - هذه الآلة قد بدأت تضمحل .. بدأت تهزل .. بدأت تموت !!

هاهى ذى ساحة الإعدام لا تريدها ، لان هذه الساحة تريد ان ترد لنفسها اعتبارها .. ان شاربة الدماء العجوز قد سلكت في شهر يوليو سلوكا حسنا (٢) ، فهي تريد منذ الآن ان تحيا حياة أفضل ، وان تظل جديرة بصنيعها الاخير (٣) .. ان الحياء يعود اليها ، وهى التى كانت قد حلت محل المشانق من ثلاثة قرون ، فهى تخجل من مهنتها السابقة ، وتود ان

---

(١) الدكتور « جيوتان » مخترع المقصلة وقد عرفت باسمه  
(٢) كناية عن ان المقصلة لم تقتل احدا في ذلك الشهر بمد ان صدر الامر بأيقاف تنفيذ كل احكام الاعدام الى اجل غير مسمى كما سبققت الاشارة الى ذلك - المترجم  
(٣) اى بعملها الصالح في شهر يوليو

تفقد اسمها البشع . انها تطلق الجلاد . . وتفصل الدم من فوق « بلاطها »

وفي هذه الساعة ، تنفذ عقوبة الاعدام خارج باريس ! فلنقلها هنا اذن بصراحة ، فخرجها من باريس يعنى خروجها من المدينة

ان جميع الاعراض في صالحنا ، ويبدو كذلك ان هذه الآلة البشعة ، أو بالاحرى هذا ألوحش المصنوع من الخشب والحديد ، والذي هو تحفة اندكتور « جيوتان » يبدو ان هذه الآلة تقدر وتقاوم . اننا اذا نظرنا من زاوية معينة الى هذا العدد من أحكام الاعدام الرهيبة التي نفذت وسردنا تفاصيلها آنفا ، لوجدنا أنها تعتبر دلالات ممتازة ، فالمقصلة تتردد وتحجم وتقصر في تأدية وظيفتها ، وها هو ذا بناء عقوبة الاعدام العتيق بأسره قد أخذ يتفكك ويتداعى

وسوف ترحل هذه الآلة البغيضة من فرنسا ، فنحن نقدر ذلك تقديرا ونعول عليه ، وهي سوف ترحل عرجاء ، باذن الله ، لاننا سنحاول جاهدين أن نوجه اليها ضربات قاصمة فلتذهب اذن عند قوم آخرين ، لتذهب عند شعب همجي يقبل ان يستضيفها

لقد كان البناء الاجتماعى يرتكز فيما مضى على ثلاث قواعد هي : القسيس ، والملك ، والجلاد . ومنذ زمن بعيد ، ارتفع صوت يقول : « لقد ذهب سلطان الأساقفة ! ، . . .

وفي السنوات الاخيرة صاح صوت آخر يقول : « ان الملوك ذهبوا ! » ، والآن ، حان الوقت ليرتفع صوت ثالث ويقول: « ان الجلاد راحل ! »

وهكذا ، يكون المجتمع القديم قد انهار حجرا بعد حجر ، وتكون العناية الالهية قد قوضت اركان الماضي بأسره

ان الذين ندموا على تقلص نفوذ الدين ، استطعنا أن نقول لهم : ان الدين باق ، والذين يندمون على ذهاب الملوك نستطيع ان نقول لهم : ان الوطن باق . اما الذين سيندمون على ذهاب الجلاد فليس لدينا ما نقوله لهم

ولا يحسبن احد ان النظام سوف يختفى باختفاء الجلاد ، فسوف لاتنداعى عمد المجتمع الجديد لأن هذا المفتاح البشع المشثوم ينقصها ، وليست المدنية الا سلسلة من التغييرات المتتابعة ، فماذا أنتم واجدون عندئذ ؟

انكم ستشهدون تغير العقوبات ، وسوف يدخل قانون المسيح الرحيم أخيرا فى اللوائح المعمول بها فى المحاكم ويشع من نوره عليها . اننا سننظر الى الجريمة على أنها مرض ، وسوف يكون لهذا المرض أطباؤه الذين سيحتلون أماكن قضاةكم ، ومستشفياته التى ستحتل أماكن ليماناتكم . ان الحرية والصحة ستجتمعان معا

نعم ، اننا سنصب البلسم والزيت حيث كان يطبق الحديد والنار . وسوف نعالج هذا المرض بالرحمة والاحسان بعد ان كان يعالج بالفضب والانتقام

وسوف يكون ذلك بسيطا وزائعا حقا  
فلاحسان يحل مكان الانتقام  
والرحمة تحل محل القتل  
وهذا كل ما نهدف اليه

في ١٥ مارس عام ١٨٣٢

﴿﴾

## الفصل الأول

### قضيتي

التحويل لصفحات فردية  
فريق العمل بقسم  
تحميل كتب مجانية

بقيادة  
\*\* معرفتي \*\*

[www.ibtesama.com](http://www.ibtesama.com)  
منتديات مجلة الإبتسامة

شكرا للغالية  
Amly  
التي تفضلت بسحب الرواية

## فى سجن (( بىستر ))

محكوم على بالاعدام !

آه ! هاقد مضت على خمسة اسابيع وانا اقيم وحدى مع هذه الفكرة ، وحدى دائما ، اتجمد رهبة لوجودها معى ، وارزح تحت وطأتها على الدوام !

وقديما ، كنت رجلا كأى رجل آخر . واقول « قديما » لان هذه الاسابيع الخمسة تبدو لى وكأنها دهر طويل ! كانت لى كل يوم فكرة ، بل فى كل ساعة ، وفى كل دقيقة ، وكانت نفسى الثغنية الشابة حافلة بالنزوات والتصورات ، تتسلى بان تسردها على واحدة بعد اخرى ، بلا ترتيب وبلا نهاية ، وهى تطرز بالنقوش التى لا تنتهى هذا القماش الرفيع المتين الذى تنسجه الحياة

كان رأسى وقتئذ عامرا بالفتيات الشابات ، وبملابس المطارزة البديعة ، وبالمعارك الراححة ، والمسارح التى تغمرها الضوضاء والاضواء . وكان عامرا كذلك بالفتيات الصغيرات وبنزهات فى ظلام الليل الداغى تحت أغصان شجر الكستناء الطويلة . لقد كان فى خيالى عيد دائم وكنت أستطيع ان أفكر فيما اريد فى اى وقت .. فقد كنت حرا !

أما الآن فانى أسير . فجسمى مكبل بالحديد فى زنزانه ،



ونفسي سـجينة في فكرة مروعة دامية لا ترحم ! ولم  
يعد لدى سنوي فكرة واحدة ، سوى اقتناع واحد ويقين واحد:  
اني محكوم على بالاعدام !

وهما فعلت ، فان هذه الفكرة الرهيبة هنا دائما ، الى  
جوارى ، وكأنها شبح جهنمي من الرصاص يقف غيورا بمفرده  
أمامي أنا البائس ، ويواجهني وجها لوجه ، فيطرد عني كل  
تسلية ويهزني هذا عنيفا بيدين في مثل برودة الثلج كلما  
أردت أن أدير رأسي أو أن أنغمض عيني . ان هذه الفكرة  
المفزعة تتسلل الى بكل الطرق ، في الوقت الذي تريد نفسي  
فيه أن تهرب منها ، وتمتزج كنغمة رهيبة بكل الالفاظ التي  
توجه الى ، وتلتصق بي في اسوار زنزانتى الكئيبة ، وتطاردني  
في يقظتي ، وتتجسس على في منامي المضطرب ، ثم تظهر  
مرة أخرى في أحلامي في صورة سكين !

لقد استيقظت الآن فزعا بسببها وانا أقول في نفسي :  
« انه ليس الاحلما ! » .. حسنا ! فحتى قبل أن تجد عيناي  
الثقيلتان متسعا من الوقت كي تنفتحا تماما لتريا هذه الفكرة  
المحتومة مكتوبة في هذا الواقع المروع الذي يحيط بي على  
بلاط زنزانتى الرطب المبلل ، وفي ضوء مصباحي الليلي  
الخافت ، وفي نسيج.ردائي الخشن الرديء ، وعلى وجه  
الحارس المظلم الذي كانت « زمزميته » تلمع من خلال  
القضبان الحديدية .. حتى قبل أن تجد عيناي الثقيلتان  
متسعا من الوقت لتريا كل ذلك ، فقد بدا لي أن صوتا قد

همس فى اذنى يقول : « أنت محكوم عليك بالأعدام ! »  
كان ذلك فى صبيحة يوم جميل من أيام شهر اغسطس ،  
وكان قد مضى على موعد بده نظر قضيتى ثلاثة أيام . كان  
اسمى وجريمتى يجمعان خلالها فى كل صباح جمعا غيرا من  
المتفرجين ، كانوا يتهافتون على المقاعد فى قاعة الجلسة كما  
تتهافت الغربان على جثة عفنة ! ثلاثة أيام كانت استعراضات  
الفضاة والشهود والمحامين ، ومثلى الاتهام باسم الملك ، تمر  
خلالها ثم تمر من أمامى ، فتثير السخرية تارة ، وتارة تكون  
دامية ، ولكنها كثيبة ومعتمة على الدوام  
ولم أستطع أن أنام فى الليلتين الاوليين من أثر القلق  
والرعب ، ولكنى نمت فى الليلة الثالثة من الضيق والكلل .  
وكنت قد تركت المحلفين وهم يتداولون فى منتصف الليل  
فأعادنى الحراس الى زنزانتى حيث سقطت من فورى على  
قشها فى سبات عميق ، فى سبات النسيان . فكانت هذه  
أول ساعة أصبت فيها شيئا من الراحة منذ عدة أيام  
وكنت لا أزال مستغرقا فى أعماق هذا السبات عندما أتى  
اسجان ليوقظنى . وفى تلك المرة ، لم يكن وقع قدميه الثقيلتين  
بحذائه الغليظ ، ولا صليل رزمة المفاتيح التى كان يحملها  
دائما معه ، ولا قرقة الأقفال الخشان ، لم يكن هذا كله كافيا  
لايقاظى ، وإنما كان عليه أن يستعين بصوته انجهورى الخشن  
النبرات لينتزعنى من نومى المحوم ، وأن يقبض على ذراعى  
ليهرزنى بيده الغليظة وهو يقول لى فى ارهاب :

- قم اذن !

فتحت عيني وانتفضت مذعورا لاجد نفسي جالسا على  
القش ! وفي تلك اللحظة ، رأيت من خلال النافذة الضيقة  
المرتفعة في زنزانتى ، قطعة السماء الوحيدة التى كان يمكننى  
أن اراها من بعيد ، ورأيت هذا الضوء الاصفر الذى يبدو  
شمسا للأعين ، التى الفت ظلام السجون .. لشدما احب  
الشمس !

وتمتت أقول للسجان :

- ان الطقس جميل !

فمكث الرجل صامتا لحظة دون أن يرد على بحرف ، وكأنه  
كان يسائل نفسه عما اذا كان هذا الذى أمامه يستحق منه  
ان يقول له اية كلمة ، ثم غمغم يقول فجأة فى شيء من الجهد :

- هذا محتمل

وبقيت بغير حركة ، وروحي نصف نائمة ، وفمى يبتسم  
وعيناي لا تتحولان عن هذا الشماع الذهبى الرقيق الذى كان  
يزين السقف

وعدت أكرر قائلا :

- هذا يوم جميل

فأجابنى السجان قائلا فى حزم :

- نعم .. انهم ينتظرونك

فنقلتنى هذه الكلمات القليلة ، التى تشبه الخيط الذى  
يقطع طيران الحشرة ، فى عنف الى عالم الحقيقة والواقع .

وفجأة رايت فى مثل وميض البرق قاعة محكمة الجنائيات  
المعتمة ، وقفص الاتهام ، وثلاثة صفوف من الشهود تنطق  
بجوههم بالغباء ، والجنديين الواقفين عن يمينى وشمالى  
، والارواب ، السوداء تتحرك هنا وهناك ، ورعوس المتفرجين  
لبدو كالنمل عند نهاية القاعة فى الظل ، واعين هؤلاء المحلفين  
الاثنى عشر المثبتة على ، الذين سهروا بينما كنت نائما !

ونفضت من فوق القفس ، وأسنانى تصطك ، ويدائى  
ترتجفان ، ولا تعرفان أين تجدان ملابسى ، وكانت ساقائى  
متخاذلتين ، لا تقويان على حملى ، فتعثرت عند أول خطوة  
خطوتها وكانى حمال يحمل حملا فوق طاقتة ، ومع ذلك  
فقد تبعت السجنان

وكان الجنديان فى انتظارى على باب الزنزانة . وما كدت  
أخرج منها حتى وضعا فى يدي قيدا حديديا له قفل صغير  
معقد ، أقفلاه فى عناية ، فتركتهما يفعلان ، فقد كان قيدي  
آلة توضع فوق آلة



واجتزنا فناء السجن الداخلى ، فبعث هواء الصباح المنعش  
فى أوصالى شيئا من النشاط ، ووجدت نفسى أرفع رأسى الى  
أعلى . كانت السماء صافية الاديم ، وكانت أشعة الشمس  
الدايفة التى تقطعها المداخن المرتفعة ترسم مثلثات كبارا من  
الضوء من فوق جدران السجن المعتمة العالية . لقد كان الجو  
جميلا حقا

وصعدنا سلما حلزونيا ثم مررنا خلال دهليز من بعده  
دهليز آخر ، ثم ثالث ، حتى انتهينا الى باب منخفض فتح على  
الفور ، فلفح وجهى هواء ساخن تختلط فيه الضوضاء . كان  
هذا هو جو أنفاس المحتشدين فى قاعة محكمة الجنايات  
وما كدت أبدو حتى حدثت ضوضاء صادرة من  
قعقة الأسلحة المختلطة بأصوات الحاضرين ، وتحركت المقاعد  
فى جلبة عالية ، وفتحت الحواجز محدثة صريرا كثيبا . وكان  
يبدو لى وأنا أعبر القاعة الطويلة بين كتلتين من الجماهير ،  
وصفين من الجنود ، أننى كنت المركز الذى ترتبط به الخيوط  
التي كانت تحرك كل تلك الوجوه المتيقظة المشرببة نحوى  
ولاحظت فى تلك اللحظة أنى لم أكن مكبلا بالحديد ،  
لكنى لم أستطع أن أذكر أين أومتى كانوا قد نزعوا عنى  
قيدى أ

وساد عندئذ صمت عميق . وكنت قد وصلت الى مكانى  
حينما سكنت الضوضاء الصادرة من الجمهور ، فسكنت أيضا  
الضوضاء التي كانت تدور مع أفكارى ، وفهمت من فورى فى  
وضوح مالم أكن أتصوره الا مشوشا غامضا منذ لحظات :  
أدركت أن اللحظة الحاسمة قد حانت وأنى احضرت الى هناك  
لسماع النطق بالحكم على

وليشرح ذلك من يستطيعه منكم ، فان الطريقة التي أوحى الى  
بهذه الفكرة لم تبعث فى نفسى الرعب ا كانت النوافذ مفتوحة  
على نصارىعها ، وضوضاء المدينة تصل مع الهواء من الخارج

دون حائل . وكانت القاعة مضيئة كما لو كان يحتفل بعرس  
وكانت أشعة الشمس المرحمة ترسم صوراً لمصابيح النوافذ  
هنا وهناك ، تارة طويلة جداً على أرض القاعة ومكسورة تارة  
أخرى عند زوايا الجدران

وكان القضاة جالسين في نهاية القاعة وقد ارتسمت على  
وجوههم علامات الرضا والامتنان ، وربما كان السبب في ذلك  
هو سرورهم بأنهم كانوا على وشك الانتهاء . وكان انعكاس  
زجاج إحدى النوافذ يسقط على وجه رئيس المحكمة ويضيئه  
بعض الشيء فيبدو عليه شيء من الطيبة والهدوء ، بينما أخذ  
أحد معاوني النيابة يتبادل حديثاً يغلب عليه المرح مع سيدة  
جميلة ترتدي قبعة وردية اللون كان قد حاباها باجلاسها  
خلفه مباشرة ، وكان الرجل يتحدث إليها وهو يمسك بياقة  
روبه ويعبث بها

وكان المحلفون وحدهم هم الذين تبدو على وجوههم آثار  
التعب الشديد ، ولكن هذا فيما يبدو كان سببه أنهم قد  
سهروا الليل بأكمله ، وكان بعضهم يتشابه ، ولم يكن في  
مظهرهم ما يدل على أنهم رجال كانوا قد قرروا لتوهم الحكم  
بالاعدام ، ولم أقرأ في وجوه هؤلاء البورجوازيين الطيبين إلا  
رغبة كبرى في النوم

وكانت هناك أمامي نافذة مفتوحة على مصراعها ، كنت  
أسمع من خلالها بائعات الزهور وهن يضحكن على رصيف  
نهر «السين» ، وعلى حافة ركن النافذة أدهشتني رؤية نبتة

صغيرة صفراء يغيرها شعاع من الشمس وكانت تلعب مع  
الهواء فى ثغرة من ثغرات حجر الجدار

فكيف يمكن أن تنبت فكرة كثيفة بين كثير من تلك  
الاحساسات الجميلة ؟ . لقد كان يغمزنى الهواء والشمس فكان  
يستحيل على أن افكر فى شيء آخر غير الحرية . ان الامل  
كان يشع فى نفسى كما يشع من حولى ضوء النهار ، وانتظرت  
النطق بالحكم على وأنا مطمئن كما ينتظر المرء الخلاص  
والحياة

ووصل المحامى الموكل بالدفاع عنى فى خلال ذلك ، وكانوا  
فى انتظاره . وكان الرجل قد تناول غداء فاخرا فى شهية  
كبيرة ، وما كاد يصل الى مكانه حتى مال نحوى مبتسما  
وهو يقول :

- اننى آمل

فاجبته فى خفة وأنا ابتسم ايضا :

- أليس كذلك ؟

فقال المحامى :

- نعم ، لست أعرف شيئا عن قرارهم بعد ، ولكنهم قد  
استبعدوا فكرة سبق الاصرار دون شك ، فلن تكون هناك  
حينئذ الا الاشغال الشاقة المؤبدة

فاجبته قائلا فى سخط :

- ما هذا الذى تقول يا سيدى ؟ .. انى أوثر الموت مائة

مرة !

نعم .. الموت ! ومن ناحية أخرى ، فان صوتا داخليا لا اعرفه كان يكرر في نفسى هامسا : « ما الخطر الذى اتعرض له بقولى هذا ؟ هل سبق ان نطق من قبل بحكم الاعدام الا فى منتصف الليل على ضوء المشاعل ، وفى قاعة معتمة سوداء فى ليلة من الليالى الباردة ، ليالى الشتاء المطيرة ؟ .. ولكن .. فى شهر أغسطس ، وفى الساعة الثامنة صباحا ، وفى يوم جميل كهذا ، ومع هؤلاء المحلفين الطيبين .. كلا ، هذا مستحيل ! وكانت عيناي ترتدان لتقعا على الزهرة الصفراء الجميلة وهى تتمايل فى الشمس .. »

وفجأة ، دعانى الى الوقوف رئيس المحكمة الذى لم يكن ينتظر سوى حضور المحامى ، فوقف الجنود شاكى السلاح ووقف جميع الحاضرين فى نفس اللحظة كما لو كان ذلك قد حدث بتأثير قوة كهربائية ! وكان ثمة بوجه جامد لا تعبير فيه يجلس الى منضدة فى أسفل هيئة المحكمة ، وكان هذا على ما أظن كاتب الجلسة ، الذى بدأ الكلام فأخذ يتلو القرار الذى كان المحلفون قد نطقوا به فى غيبتى . ولم تكد كلماته تطرق أذنى حتى انبثق من كل أعضائى عرق بارد واستندت الى الجدار لامنع نفسى من السقوط

وقال رئيس المحكمة يسأل المحامى :

– هل لديك ما تقوله يا استاذ خاصا بتطبيق العقوبة ؟  
وكنت استطيع انا أن أقول الكثير ، غير أن ذهنى ظل خاويا  
ثم يخطر به شيء ، وبقي لسانى معقودا وملتصقا بحلقى



ونفض محامي الدفاع ففهمت أنه كان يحاول أن يخفف قرار المحلفين ، بأن يستبدل بحكم الإعدام العقوبة الأخرى التي كنت قد أحسست بأن كرامتي قد جرحت حينما سمعته يتحدث عنها منذ لحظة كشيء يأمله

ولابد أن سخطي كان شديداً بحيث ظهر خلال المشاعر الكثيرة التي كانت تتضارب في خاطري ، وأردت أن أكرر للمحامي في صوت مرتفع ما كنت قد قلته له من قبل :

« انى أوثر الموت مائة مرة ! » ، غير أن انفاسى تقطعت ، ولم استطع إلا أن أوقفه بجذبه من ذراعه في عنف وأنا أصبح فيه بقوة المحموم : « كلا ! »

وقاوم المدعى العام المحامى بكل قواه ، فكنت أستمع الى نضائه في سرور ينطوى على الغفلة والغباء ! وخرج القضاة بعد لحظات ثم عادوا ثانية الى مقاعدهم ، وقرا رئيس المحكمة نص الحكم الذى سبق أن حكم به على !

وقال جمهور الحاضرين : « محكوم عليه بالاعدام ! » .. وفى الوقت الذى كان الحراس يقودوننى فيه الى خارج قاعة الجلسة ، اندفع كل هذا الجمهور من خلفى فى دوى كأنه صوت بناء ينهار، بينما كنت اسير متعثرا فى خطواتى كالثمل وقد تملكنى الدهول ! ان ثورة كانت قد انطلقت فى نفسى منذ لحظة ، وكنت اشعر حتى صدور الحكم باننى استنشق الهواء ، وبأن قلبى ينبض ، وبأننى أعيش فى نفس الوسط الذى يعيش فيه غيرى من الناس . ولكنى الآن كنت أميز فى وضوح حاجزا يفصل

بهنى وبين العالم ، ولم يكن يظهر لى شىء على نفس الصورة  
التي كان يبدو لى فيها من قبل : فهذه النوافذ العريضة  
المضيئة ، وهذه الشمس الجميلة الحانية ، وهذه السماء  
الزرقاء النقية ، وهذه الزهرة الجميلة ، كل ذلك بدأ فى عيني  
ابيض شاحبا بلون الكفن . . وهؤلاء الرجال والنساء والاطفال  
الذين كانوا يتزاحمون من حولى ويندفعون فى طريقى كانوا  
بتراءون لى كالاشباح !



## في العربة السوداء

وكانت هناك عربة قذرة سوداء مقفلة بقضبان من حديد تنتظرني عند أسفل السلم . . والقيت وانا اصعد اليها نظرة عابرة على الميدان ، فرايت المارة يعدون نحوها وهم يصيحون قائلين : « محكوم عليه بالاعدام ! » واستطعت ان اميز من خلال السحابة التي كان يبدو لي انها تفصل بينى وبين الأشياء ، فتاتين شابتين كانتا تتابعانى بأعين نهيمات ، فقالت صفراهما وهي تصفق بيديها : « حسنا ! سيكون تنفيذ الحكم فيه بعد ستة اسابيع ! »

انا محكوم على بالاعدام !

حسنا ! ولم لا ؟ انى اذكر اننى قرأت ذلك فى كتاب من الكتب لم يكن به شىء حسن سوى هذه العبارة : « ان البشر جميعا محكوم عليهم بالاعدام ، وانما يختلف وقت تنفيذ الحكم ! ، . فماذا الذى قد تغير كثيرا اذن فى موقفى ؟

كم من اناس قد ماتوا بينما كانوا يعدون انفسهم لحياة طويلة منذ اللحظة التي نطق فيها بالحكم على ؟ وكم من شباب حر فى اوج الصحة قد سبقنى وكان يعتزم الذهاب فى اليوم المحتوم ليرى راسى وهو يهوى فى ساحة الاعدام ! وكم من هؤلاء

الناس الذين يمشون ويستنشقون نسيم الحرية وهم يخرجون  
ويدخلون على هواهم ، كم من هؤلاء سوف يسبقنى كذلك الى  
هالم الموت !

ثم . . على اى شىء اندم فى الحياة ؟ اهو اليوم المظلم ؟ ام هو الخبز  
الاسود فى الزنزانة ، مع الطعام الهزيل الذى يلقى الى فى الدلو ،  
دنو المحكوم عليهم بالاعدام ؟ ام الغلظة والمعاملة الفظة اللتان  
يعاملنى بهما السجانون والحراس ، وانا الذى ربيت تربية  
مرهفة ناعمة ؟ ام هو حرمانى من رؤية اى مخلوق آدمى يعتقد  
انى استحق ان يبادلنى الحديث ؟ ام ان ارتجف بغير انقطاع  
مما فعلته ومما سيفعلونه بى ؟ اليس هذا تقريبا هو كل الخير  
الذى يستطيع الجلاد ان ينتزعه منى ؟

آه ! ولكن هذا لا يهم . . انه شىء فظيع !

نقلتنى العربية السوداء الرهيبة الى هنا ، فى سجن «بيستر»  
البشع ، وهو مبنى يبدو على مظهره بعض العظمة عند رؤيته  
من بعيد ، فهو يظهر فى الأفق على جبهة تل ، ويحتفظ بشىء  
من روعته الملكية السابقة اذا نظرت اليه من بعيد ، ولكنه يصير  
كوخا حقيرا عندما تقترب منه ! فابراجه التى سقطت تحت  
مستواها الاصلى تجرح بمنظرها العين ، ولست ادري اى شىء  
حقير مخجل لطح واجهاته الملكية بالقذارة ، اذ تبدو كأن  
جدرانها مصابة بالجذام ، ونوافذه لم يبق بها زجاج  
ولا مصاريع ، ولكنه كتل ضخمة من قضبان حديدية متقاطعة  
يلتصق بها هنا وهناك وجه شاحب يبدو عليه الشرود ، وجه

لشخص محكوم عليه أو وجه لشخص مجنون !  
انها الحياة من قرب !



## العودة الى بيستر

ما كدت أصل الى سجن « بيستر » حتى تلقفتنى ايد  
حديدية ، وضوعفت الاحتياطات فى الحال . فلا سكين مع  
الطعام ولا « شوكة » ، بل قميص المحكوم عليه فحسب ، وهو  
مبارة عن كيس من التيل الخشن ليس له كمان سجت  
بداخله ذراعى !

انهم كانوا مسئولين عن بقائى حيا ، وكنت قد استأنفت  
الحكم، وهذا الاستئناف قد يستغرق من ستة اسابيع الى سبعة  
اسابيع غالية الثمن ، وكان من المهم ان يحتفظوا بى سليما  
معافى لساحة الأعدام !

وعوملت فى الأيام الاولى بلطف كان يبدو لى رهيبا مفزعا ،  
لفظرف السجن ورقته رائحة من روائح المشنقة ، ثم ما لبثوا  
ان تغلبت عليهم العادة لحسن الحظ فعاملونى فى غلظة كما  
يعاملون غيرى من المساجين ، ولم يعودوا يميزونى على غير  
المالوف منهم بأديهم الذى كان يجعلنى اتصور الجلاد واقفا  
امامى على الدوام . ولم يكن ذلك هو التحسن الوحيد الذى  
طرا على موقفى ، بل ان شبابى ، ودعتى ، وعناية قسيس  
السجن بأمرى، ويوجه خاص بعض الكلمات اللاتينية التى كنت  
اوجهها الى الأبواب فلا يفهم من امرها شيئا ، كل ذلك قد فتح

لى باب النزهة مرة فى كل أسبوع مع المسجونين الآخرين ،  
وذهب بالقميص الحشن الغليظ الذى كان يشل حركتى .  
كما اعطيت كذلك مدادا وورقا وقلما ومنصباحا بعد تردد ليس  
بالقصر

وكانوا يطلقونى فى كل يوم احد بعد القداس فى فناء السجن  
ساعة الفسحة حيث ابادل الحديث مع المسجونين ، وكان هذا  
بالنسبة الى شئنا ضروريا للغاية . حقا ان هؤلاء البائسين اناس  
طيبون ، وهم يقصون على وقائعهم وحيلهم ، وهى امور ترسل  
فى الجسم رعدة قاسية ولكنى كنت اعلم انهم يفاخرون

وكان هؤلاء المسجونون يعلمونى ان اتحدث بلغة السجن  
كما يقولون ، وهى لغة مكتملة النمو مشتقة من اللغة الجارية  
كنوع من الورم الخبيث ، او كالسنط فى الجسد ، لبعض  
الفاظها وقع عنيف وجمال مخيف ، وذلك مثل قولهم : « انه  
يمشى على العنب الاحمر » ، ويعنون به ان الدم فى طريقه .  
وقولهم : « يتزوج الارملة » ، ويعنون به انه يشنق كما لو كان  
حبل المشنقة ارملة فقدت كل ازواجها السابقين المشنوقين !

ان راس اللص له فى السجن اسمان : « السربون » عندما  
يفكر ويعقل وينصح بالجريمة ، و « المقطوع » عندما يقطعه  
الجلاد ! وفى بعض الاحيان ، تكون الفاظ السجن هذه شبيهة  
بروح المرحية الخفيفة المرحة ( انفودفيل ) ، كقولهم : « شال  
من خيزران » ( عربية « الزبال » ) و « الكاذبة » ( اللسان ) !  
وفوق هذا ، فى كل لحظة وفى كل مكان تسمع كلمات غريبة

ومعجبة تتسم بالقبح والقدارة ، ولا أدري من أين تخرج ،  
مثل : الدرع (الجلاد) ، و «الخازوق» (الموت) ، و «الصندرة»  
(ساحة الاعدام) ! ٠٠ الفاظ تبدو لي كالعناكب والابراص ، حينما  
بسمعها المرء تترك في نفسه الاثر الذي يحدثه الشيء القذر  
المفبر ، وكأنها كتلة من الخرق البالية التي تنفض أمام عينيه  
ومهما يكن من شيء ، فان هؤلاء الرجال يرثون لحالي ، وهم  
وحدهم الذين يفعلون ذلك ، اذ ان السجانين والحراس -  
ولست احقد عليهم - يتحدثون ويضحكون ، ويتكلمون عنى في  
وجودى وكأننى شيء يمت الى عالم الجماد !







## الفصل الثاني

### أيام لنه نهور



## مذكراتي

وقلت في نفسي :

لماذا لا اكتب ما دامت لدى ادوات الكتابة ؟ ولكن ، ماذا اكتب ؟ اننى سجين بين اربعة جدران ضخمة من الحجر العارى البارد الحزين ، حيث لا حرية لخطواتي ولا أفق يمتد أمامهينى ، ولا تسلية لى طول الوقت الا ان اتتبع بطريقة آلية ما يجرى خارج زنزانتى من خلال كوة الباب المربعة الصغيرة البيضاء ، وما كانت تعكسه أمامى مباشرة على الحائط المظلم ، وكما كنت اقول منذ برهة ، فانى كنت وحدى وجها لوجه مع فكرة الجريمة والعقاب ، فكرة القتل والموت ! فهل سيكون لدى ما اقوله وانا الذى صرت انسانا لا داعى لوجوده فى هذا العالم ؟ وماذا عساي ان اجد فى هذا الانسان الدابل الخاوى ؟

ولكن .. لم لا ؟

اذا كان كل شىء من حولى يسير على وتيرة واحدة ، ولا لون له على الاطلاق ، افلا تضطرم فى أعماق نفسى عاصفة عاتية ، وكفاح مستمر ، وماساة دامية ؟ ان هذه الفكرة الثابتة التى تستحوذ على نفسى تبدى أمامى فى كل ساعة وفى كل لحظة فى شكل جديد ، وهى تزداد كآبة وتلوثا بالدماء ساعة بعد

ساعة كلما اقترب المصير المحتوم ! فلماذا لا احاول ان اقول  
لنفسى كل ما احس به ، واقص عليها ما اكابده من مشاعر  
عنيقة ، بعضها يحاصرني فعلا وبعضها مجهول لا يزال ينتظرني  
في موقفى هذا الميثوس منه الذى اجد نفسى فيه الآن

ان الموضوع غنى ما فى ذلك شك ، وفهما بدا لى ما تبقى من  
عمرى قصيرا فسوف يكون فى الهواجس والرعب والعذاب  
الاليم ، الذى يملؤه منذ هذه الساعة الى ان تحين ساعتى  
الاخيرة ، مايكفى لاستهلاك هذا القلم ونفاد هذا المداد كله . ومن  
جهة اخرى ، فان الوسيلة الوحيدة التى تستطيع بها ان اخفف  
بعض الشئ من آلام هذه الهواجس هى ان الاحظها ثم اصفها ،  
فهذا خليق بان يسرى عنى بعض التسرية

وفوق هذا ، فان ما ساكتبه هكذا قد لا يكون عديم النفع .  
فهذه المذكرات التى تسجل آلامى ساعة فساعة ، ودقيقة  
فدقيقة ، وعذابا اثر عذاب - لو انى وجدت فى نفسى القدرة  
على تدوينها حتى اللحظة التى سوف يستحيل على جثمانيا ان  
اتابع كتابتها - اذ ان قصة مشاعرى هذه ستبقى حتما ناقصة  
بلا نهاية وان كانت كاملة من حيث طاقتى - هذه المذكرات ان  
تحمل فى طياتها عظة كبيرة وعميقة ؟ ان يكون فى هذا السجل  
المدون عن الفكر وهو يحتضر ، وعن الآلام التى تتزايد باستمرار  
.. هذا النوع من التشريح العقلى لانسان محكوم عليه  
بالموت .. ان يكون فيه اكثر من درس لأولئك الذين يصدرون  
هذا الحكم ؟

نعم .. فقد تجعلهم قراءة هذه المذكرات اقل تسرعا ،  
وتحملهم على شيء من التروى فى المستقبل عندما يكون الأمر  
متعلقا باسقاط رأس يفكر ، رأس انسان ، فيما يسمونه  
ميزان العدالة ! قد لا يكون هؤلاء التعساء فكروا قط فى هذا  
التتابع البطيء لالوان العذاب التى تنطوى عليه هذه الصيغة  
الموجزة التى ينطق بها فى استخفاف : « الحكم بالاعدام ! »  
ترى هل وقفوا قط مرة واحدة ، واحدة فحسب ، عند هذه  
الفكرة الاليمة لىروا ان فى هذا الانسان الذى يقطعون رقبتة  
ذكاء كان قد اعتمد على الحياة ، وان فيه روحا لم تكن قد  
تهيات بعد للموت ؟

كلا ! انهم لا يرون فى هذا كله الا سكيئا مثلثة الشكل تهوى  
راسيا على رقبة الشخص المحكوم عليه بالموت ، وهم يحسبون  
دون شك انه لا شيء هناك بالنسبة اليه ، لا من قبل ذلك ولا  
من بعده !

ان هذه المذكرات سوف تظهر لهم انهم مخطئون ، فقد يتاح  
لها ان تنشر فى يوم من الايام ، فتفتح اعينهم لحظات على آلام  
النفس التى لا يشك فيها احد منهم . انهم يفخرون بقدرتهم  
على القتل دون ان يتألم الجسم تقريبا بسبب سرعة المقصلة  
فى انجاز مهمتها الدامية ، غير ان هذا ليس كل ما فى الأمر ، اذ  
ما قيعة الالم البدنى اذا قيس بالآلام النفس ؟

انا لنشتمز من هذه القوانين الموضوعية على هذه الصورة  
التي تتحرك انفسنا شفقة بها ، وسوف يأتى يوم تكون فيه هذه

المذكرات ، وهى الأسرار الاخيرة لانسان بائس ، قد أسهمت فى هذا المضمار .. اللهم الا اذا عبثت الريح بعد موتى بهذه الاوراق الملطخة بالوحل فى فناء السجن ، او لصقتها سجان على شكل نجوم فى نافذة مكسورة الزجاج فى حجرته فتتعفن هناك تحت قطرات المطر

وسواء اكان ما اكتبه هنا يمكن ان يكون يوما ما نافعا لغيرى ، ام انه اوقف القاضى وهو يهم بالنطق بالحكم ، ام انقلد البائسين من ابرياء ومذنبين ، انقذهم من الاحتضار الذى حكم به على .. فلماذا كل ذلك ؟ .. وما فائدته ؟ .. وما اهميته ؟ .. ماذا يهمنى ان تقطع رءوس اخرى بعد ان يكون راسى قد قطع ؟ .. هل استطعت حقا ان افكر فى هذه الفكرة الجنونية ، فى ان اذف بالمقصلة على الأرض واهدمها بعد ان اكون قد سعدت عليها ؟ هل لى ان أسألكم قليلا : ماذا سيعود على من تحطيم المقصلة بعد ان اذهب ضحية لها ؟

آه ! ان الشمس ، والريبع ، والحقول المملوءة بالازهار ، والطيور التى تستيقظ فى الصباح ، والفيوم ، والأشجار ، والطبيعة ، والحرية ، والحياة .. كل ذلك لم يعد لى منه شىء !

رباه ! .. انه انا الذى يجب انقاذه ! هل صحيح ان هذا غير ممكن ؟ وانه يجب ان أموت غدا ، بل وربما اليوم ؟ .. هل صحيح ان الأمر هكذا ؟ .. يا الهى ! ان هذه الفكرة الرهيبة لتدفعنى الى التفكير فى تحطيم راسى على جدار زنزانتى

والآن ، فلنعد ما تبقى لي :

مهلة مدتها ثلاثة أيام عقب النطق بالحكم لتقديم طلب الاستئناف الى محكمة النقض . وثمانية ايام من النسيان في نيابة الاستئناف ترسل بعدها المستندات - كما يقولون - الى مكتب الوزير . وخمسة عشر يوما من الانتظار لدى الوزير الذي لا يحس بوجود هذه الاوراق ولا يعلم من امرها شيئا، ومع ذلك فالمفروض انه يحيلها بعد فحصها الى محكمة النقض ، حيث يتم ترتيبها وترقيتها وتسجيلها ، لان المقصلة لديها عمل كثير ، ويجب الا يمر بها كل انسان الا في دوره . . . ثم خمسة عشر يوما للتأكد من انه لم يحدث لك امتياز ما خارج حدود القوانين واللوائح

وأخيرا ، تنعقد المحكمة عادة في يوم خميس ، فترفض عشرين طلب استئناف دفعة واحدة ، ثم تعيدها الى الوزير الذي يرسلها الى النائب العام ، فيحيلها هذا الى الجلاد . ويستغرق هذا كله ثلاثة ايام

وفي صباح اليوم الرابع ، يقول وكيل النائب العام لنفسه وهو يلبس ربطة عنقه : « ومع ذلك فيجب أن تنتهي هذه المسألة ! » . وعندئذ ، فان كان نائب كاتب المحكمة ليس مرتبطا بموعد للغداء مع بعض الاصدقاء يمنع من ذلك ، فان الامر بالاعدام تحدد له دائما دقيقة للتنفيذ ، ثم يحرر ويبيض ويرسل الى الجهة المختصة . . فيسمع منذ فجر اليوم التالي صوت اقامة اخشاب المقصلة في ساحة الاعدام ، ويصبح



النادون العموميون عند تقاطع الشوارع وفي الأزقة في صوت مرتفع مبجوح

كل ذلك يتم في ستة أسابيع . إن الفتاة الصغيرة كانت على حق ! ولكن ها هي ذى خمسة أسابيع على الأقل ، وربما ستة فلست أجرؤ على أن أعدها ، قد انقضت على في هذا السجن ، سجن ، بيستر ، الحقير ، ويبدو لي أنه منذ ثلاثة أيام مضت كان اليوم يوم خميس



لقد فرغت الآن من كتابة وصيتي !

ولكن . . ما فائدة ذلك ؟ لقد حكم على بدفع تعويض لن يكون كل ما أملكه كافيا لسداده . حقا إن المقصلة باهظة الثمن !

انى اترك ورائى اما ، وزوجة ، وطفلة ! . . طفلة صغيرة في الثالثة من عمرها حلوة وردية اللون ضعيفة البنيان ، عيناها واسعتان سوداوان وشعرها طويل كستنائى اللون ، وكانت سن ابنتى سنتين وشهرا واحدا عندما رأيتها لآخر مرة

وهكذا ، فسوف يكون هناك بعد موتى ثلاث نساء : واحدة منهن بغير ابن ، والثانية بغير زوج ، والثالثة بلا أب . . ثلاث يتيمات من انواع مختلفة . . ثلاث ارامل باسم القانون !

انى اوافق على ان اعاقب عقابا عادلا ولكن . . هؤلاء الابرشيات ماذا جنين ؟ وما ذنبهن ؟ ان هذا لا يهم ، فهم يلوثون شرف هؤلاء النسوة الثلاث ويدمرون حياتهن . . انها العدالة !

وليس ما فى الامر ان امى العجوز المسكين تقلقنى ، فسئنها

اربع وستون سنة وسوف تموت من اثر الصدمة ، ولو انها  
هاشت من بعدى لبضعة ايام فياليتها تجد فى مدفاتها لآخر  
لحظة بعض الرماد الدافى ، فهى لن تشكو ولن تقول شيئا  
وامر زوجتى كذلك لا يبعث فى نفسى القلق ، فهى معتلة  
الصحة ضعيفة النفس ، وسوف تموت هى الاخرى .. الا اذا  
اصابها مس من الجنون . انهم يقولون ان الجنون يطيل العمر ،  
ولكن عقلها لن يتالم عندئذ على الاقل ، ومن ثم فانها ستنام  
وتكون كأنها فى عداد الاموات  
اما ابنتى وقلندة كبدى ، طفلتى وصغيرتى « ماري » المسكين  
التي تضحك وتلعب وتغنى فى هذه الساعة ولا تفكر فى شىء ،  
فانها هى التي تثير فى نفسى الالم !

و

## في الزنزانة

هذه هي زنزانتى :

ان مساحتها ثمانى اقدم مربعة ، ولها اربعة جدران سميقة من الحجر ، ترتكز بزاوية قائمة على ارضية من البلاط تعلق بمقدار درجة واحدة على مستوى الدهليز الخارجى . وهناك على يمين الداخل ، عند الباب ، نوع من التجويف يقلد فى سخرية صوان ملابس النساء الذى يوجد عادة داخل الجدران . انهم يلقون فيه بحزمة من القش من المفروض ان يستريح السجين عليها وأن ينام وهو يرتدى سروالا من التيل ، وسترة من القماش الرخيص لا يتغيران صيفا او شتاء

وفوق رأسى كسما ، يرى المرء « قبوة » سوداء - هكذا يسمونها - تتدلى منها خيوط العنكبوت كأنها خرق بالية . وفيما عدا هذا ، فلا نوافذ هناك ، حتى ولا كوة صغيرة ، فلن تجد اللهم الا بابا عتيذا يطغى فيه الحديد على الحشب

كلا ، كلا . . . اننى مخطيء ، ففى وسط هذا الباب اى أعلى ، هناك فتحة مساحتها تسع بوصات مربعة ، تتخللها طولاً وعرضاً شبكة من حديد على شكل صليب ، يستطيع السجنان أن يفتقها أثناء الليل

وفى خارج الزنزانة ، دهليز طويل نسبيا يضاء ويغير هواؤه عن طريق نوافذ عالية ضيقة فى أعلى الجدار ، ومقسم الى اقسام بفواصل مبنية ، ويتصل بعضها ببعض بسلسلة من الابواب المتينة غير المرتفعة . ويستعمل كل قسم من اقسام هذا الدهليز ، على نحو ما ، كمدخل لزنزانة شبيهة بزنزانتى ، وفى هذه الزنزانات يضعون المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة المؤبدة الذين يحكم عليهم مدير السجن بعقوبات تأديبية . اما الزنزانات الثلاث الاولى فمخصصة للمحكوم عليهم بالاعدام لانها قريبة من مركز المراقبة ، ومن ثم فهى أكثر ملاءمة للسجان

هذه الزنزانات هى كل ما تبقى من قصر « بيستر » القديم كما بناه فى القرن الخامس عشر الكاردينال « وينشستر » وهو نفس الكاردينال الذى قضى باحراق « جان دارك » . اننى سمعت هذا من فضولين كانوا قد حضروا منذ أيام ليرونى فى زنزانتى ، وكانوا ينظرون الى من بعيد كما ينظر الناس الى الوحوش الضارية فى حدائق الحيوان . وقد حصل السجان يومئذ على خمسة فرنكات

لقد نسيت أن أقول ان هناك جنديا مكلفا بالحراسة على باب زنزانتى ليلا ونهارا ، وان عيني لا تستطيعان أن ترتفعا الى الفتحة المربعة بباب الزنزانة دون أن تلتقيا بعينيه المفتوحتين الشاخصتين الى على الدوام

وفيما عدا هذا ، فهم يفترضون أن الهواء وضوء النهار ينفذان

الى هذا الصندوق المصنوع من الحجر

وبما أن ضوء النهار لم يظهر بعد ، فماذا أفعل بالليل ؟

لقد خطرت ببالي فكرة ، فنهضت واقفا وأدريت مصباحي من الجدران الاربعة ، فوجدتها مغطاة بالكتابة والرسوم والاشكال الغريبة ، وبأسماء يختلط بعضها ببعض ويمحو بعضها بعضا . ويبدو أن كل محكوم عليه قد أراد أن يترك وراءه أثرا ، هنا على الأقل . إنها كتابات بالقلم ، وبالطباشير ، وبالفحم ، وبها حروف سوداء وبيضاء ورمادية اللون محفورة في الاغلب حفرا عميقا في الحجر . ورأيت هنا وهناك أحرفا بدأت معالمها تنطمس ، ويبدو أنها قد كتبت بالدم

ولو أن نفسي كانت أكثر حرية مما هي فيه لاهتمت حقا بأمر هذا الكتاب الغريب المنظر أمام عيني صفحة صفحة على كل حجر من أحجار هذه الزنزانة ، ولكنك جعلت من هذه الشرائح من الافكار المبعثرة على الاحجار كتابا كاملا أعيد تأليفه ، وأن أجد مرة ثانية كل رجل وراء كل اسم ، وأن أعيد المعنى والحياة الى هذه الكلمات المحفورة المحطمة ، الى هذه العبارات المبعثرة المفككة ، الى هذه الالفاظ المبتورة التي بدت لي كأجساد بلا رهوس كالاشخاص الذين كتبوها

ورأيت عند مستوى ارتفاع فراشي المصنوع من القش قلبين ملتهبين يخترقهما سهم ومكتوب فوقهما : « الحب مدى الحياة ! » يا للمسكين ! ماتت أمانيه في ريعن الشباب !

والى جوار هذا قبعة مثلثة الزوايا ، من تحتها وجه

مرسوم بطريقة رديئة ومعها هذه الكلمات : « يحيا الامبراطور  
.. » عام ١٨٢٤ «

ورأيت قلوبا أخرى ملتهبة ومعها هذه العبارة الخاصة بحياة  
السجون : « اننى احب وأعبد « ماتيو دنفان - جاك »

وعلى الجدار المقابل لسريرى ، وقعت عيناي على هذا الاسم:  
« بابا فوان » ، وكان حرف البناء الاول كبيرا ومزركشا بنقوش  
عربية ومرسوما بعناية ، ومن تحت هذا مقاطع من اغنية  
بديئة . ثم على « قبعة الحرية » المحفورة في الحجر بشكل عميق  
بعض الشيء ، وقد كتب من فوقها هذا الكلام : « الى الجمهورية  
- بوريس » .. انه كان احد ضباط الصف الاربعة بمدينة  
« لاروشيل » ! ياله من شباب مسكين ! ويا لكآبة ضروراتهم  
السياسية المزعومة ! فبسبب فكرة أو حلم أو مجرد خيال ،  
نرى هذه الحقيقة البشعة : المقتلة ! .. وأنا الذى كنت أشكو  
.. أنا التعس الذى ارتكبت جريمة بمعنى الكلمة وأرقت  
الدماء !

اننى لن أذهب فى بحثى الى أبعد من هذا ، فقد رأيت من فورى  
صورة رهيبة مروعة مرسومة باللون الأبيض فى ركن الجدار :  
انها صورة هذه المقتلة التى ربما كانت تقام لى فى هذه اللحظة !  
وكاد الصباح يسقط من يدي !



وأنذفت عائدا لاجلس على القش ورأسى بين ركبتي ، ثم  
انقش فرعى الصبيانى وأخذتنى من جديد الرغبة فى

الاستطلاع ، ومتابعة قراءة ماهو مكتوب على جدر الزنزانة  
انتزعت من جانب اسم « بابافوان » نسيج عنكبوت ضخم  
مثقلا تماما بالغبار ، ومعلقا في زاوية الجدار ، فرأيت تحته  
اربعة اسماء او خمسة من الممكن ان تقرا بسهولة من بين اسماء  
اخرى لم يبق منها سوى بقع على الجدار . اما الاسماء  
الواضحة فهي : « دوتان » عام ١٨١٥ - « بولان » عام ١٨١٨  
- « جان مارتان » ١٨٢١ - « كاستانج » عام ١٨٢٣

وما كدت اقرا هذه الاسماء حتى انتابتني ذكريات مظلمة :  
اما « فدوتان » هو الذي قطع اخاه اربا اربا ، وذهب ليلا الى  
باريس ليلقى براسه في نافورة وبجذعه في المجارى ! و « بولان »  
هو الذي قتل زوجته ، و « جان مارتان » هو الذي اطلق  
رصاص مسدسه على والده الشيخ وهو يفتح نافذة . اما  
« كاستانج » فهو ذلك الطبيب الذي قضى على صديقه وهو  
يعالجه في مرضه الاخير ، الذي كان الطبيب نفسه سببا فيه ،  
وذلك بان كان يعطيه السم على انه دواء . والى جانب هؤلاء  
« بابافوان » المجنون الرهيب الذي كان يقتل الاطفال بطعنة من  
سكين في الراس !!

قلت في نفسي : هاهم اولاء من اقاموا من قبلى ضيوفان  
هذه الزنزانة ! واحسست برجفة من الحمى تسرى في كليتي !  
هنا ، على نفس هذه « البلاطة » التي اجلس عليها ، جالت في  
اذهان رجال الجريمة والدم هؤلاء ، أفكارهم الاخيرة ، لقد  
دارت خطواتهم الاخيرة حول هذا الجدار ، وفي هذا المربع

الضيق ، كخطوات حيوان كاسر • لقد تتابع بعضهم فى اثر  
بعض على فترات متقاربة فى هذه الزنزاة حتى ليبلو لى انها لم  
لخل ابدا من النزلاء ! لقد تركوا هذا المكان دافئا .. تركوه لى  
انا ، وسوف اذهب بدورى لالحق بهم فى مقبرة « كلامار »  
حيث ينمو العشب بفزارة ايما فزارة !

لست اتبأ بالفيب ، ولا اعتقد فى الخرافات ، ومن المحتمل  
ان هذه الافكار كانت تثير فى نفسى مزيدا من الحمى ، ولكن  
بدا لى فجأة وانا احلم على هذه الصورة ، ان تلك الاسماء  
المشثومة كانت مكتوبة بالنار على الجدار الاسود ، ودوى فى  
اذنى رنين قوى أخذ يزداد عنفا وسرعة ، وامتلات عيناي بوهج  
احمر ! ثم بدا لى ان الزنزاة كانت مملوءة بالرجال ، برجال  
اشكالهم غريبة ، كانوا يحملون رءوسهم بايديهم اليسرى وهم  
يمسكون بها من الفم ، لانها كانت رءوسا لا شعر فيها ..  
وكانوا جميعا يلوحون لى بقبضات ايديهم مهددين ماعدا قاتل  
ابيه !

واطبقت عينى وقد تملكنى الهلع ، فرايت عندئذ كل شىء  
فى وضوح اكثر ، وسواء اكان ما رايت حلما ام رؤيا ام حقيقة ،  
فقد كنت خليقا بان اجن .. لولا انى احسست بشعور مفاجىء  
ايقظنى من هذا الكابوس فى الوقت المناسب ، وكدت أقع على  
ظهري عندما شعرت بيطن بارد ، وبارجل صغيرة مكسوة  
بالزغب تزحف فوق قدمى العاريتين . كان هذا هو العنكبوت  
الذى كان فى طريقه الى الهرن بعد ان ازعجته



ولقد ازال هذا العنكبوت الرؤيا من امام ناظري . ويا لها  
من اشباح مرعبة! كلا ، انها كانت دخانا ينبعث من مخي  
الخواوي المحموم ! كانت كابوسا على طريقة « ماكبث ! » فاللوتى  
ميتون ، وخاصة هؤلاء . لقد اغلقت عليهم القبور جيدا  
بالاقفال ، وايس القبر سجننا يهرب منه الانسان . فكيف حدث  
اذن اتى خفت على هذا النحو ؟

ان باب القبر لا يفتح من الداخل قط

السلامة

## مشهد رهيب

رأيت في هذه الأيام الماضية شيئا بشعا !  
كنا في مطلع الفجر ، وكان السجن يضج بالاصوات، وكان  
يسمع صوت اغلاق الابواب الثقيلة وفتحها، وصرير المزاليج والإقفال  
الحديدية ، وصليل رزم المفاتيح التي يحتك بعضها ببعض في  
أحزمة السجانين ، واهتزاز درجات النلم من أعلى الى أسفل  
تحت وقع خطوات مندفعة ، واصوات ينادى بعضها بعضا ،  
ويرد بعضها على بعض من طرفي الدهاليز الطويلة ! وكان جيراني  
في الزنزانة ، وهم المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة المؤبدة ، أكثر  
مرحاً من المألوف . وكان يبدو على سجن « بيستر » بأسره  
انه يضحك ويفنى ، وأنه يلهو ويرقص  
وبقيت وحدي صامتا وسط كل هذه الضوضاء ، ساكنا  
لا أبدى حراكا وسط هذه الحركة الدائبة . كنت أصفى  
فحسب ، أصفى في يقظة وانتباه وقد تملكتنى الدهشة  
ومر أحد السجانين فخاطرت بنداائه ، وسألته عما اذا كان  
هناك عيد في السجن ، فأجابني الرجل قائلا : « انه عيد اذا  
شئت ! فالיום موعد تقييد المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة  
بالحديد ، أولئك الذين يجب ان يرحلو غدا الى سجن «طولون»  
أتريد أن تشاهد ذلك ؟ انه سوف يسليك ،

وكان هذا المنظر في الواقع -مهما بلغ من بشاعته - فرصة طيبة لانسان سجين بمفرده في زنزانه ، فتبليت هذه التسلية واتخذ السجنان الاحتياطات المعتادة كي يطمئن من ناحيتي ، ثم اصطحبني الى زنزانه صغيرة خالية ليس بها اثاث على الاطلاق ، ولها نافذة مسورة بقضبان من حديد ، ولكنها نافذة بمعنى الكلمة ، على قدر من الارتفاع يسمح للمرء بان يتكئ على حافتها ، وان يرى السماء من خلالها بالفعل

وقال لي السجنان : « حسنا .. من هنا سوف ترى وتسمع ، وسوف تكون وحدك في مقصورتك هذه وكانك ملك ! »

ثم خرج الرجل بعد ان اغلق على باب الزنزانه بالمفاتيح والاقفال والمزاييج

وكانت تلك النافذة تطل على فناء مربع الشكل ، فسيح الى حد معقول ، يحيط به من الجهات الاربع بناء كبير من الحجر مؤلف من ستة طوابق كأنه جدار ضخيم . وليس ثمة ما هو اكثر زراية وعريا واشد ابداء للعين من هذه الواجهة الرباعية ذات النوافذ العديدة المسورة بالحديد ، التي التصقت بها - من اسفل البناء الى اعلاه - مجموعة كبيرة من الوجوه الشاحبة الضامرة ، قد تكلس بعضها فوق بعض كأنها احجار في جدار ، يحيط بها جميعا - ان صح هذا التعبير - اطار من قضبان النوافذ الحديدية . كان هؤلاء هم السجناء ، قد اخذوا يشاهدون هذا الحفل ، في انتظار ادوارهم حين تحين

ليصبحوا هم الممثلين . ان المرء ليخيل اليه انهم ارواح معدبة  
من وراء نوافذ من حديد تطل على جهنم

كانوا ينظرون جميعا في صمت الى الفناء الذي كان لا يزال  
خاليا الى تلك اللحظة . انهم كانوا ينتظرون . وهنا وهناك ،  
كانت بعض الاعين الحية الثاقبة تلمع كأنها نقط من النار بين  
تلك الوجوه الحزينة المنطفئة

ان « مربع السجون » الذي يحيط بذلك الفناء ليس مقفلا  
من جميع نواحيه ، فأحد اضلاعه الاربعة ( الضلع الذي يطل  
على جهة الشرق ) مقطوع عند وسطه تقريبا ولا يتصل بالضلع  
الذي يجاوره الا بسور من حديد ، يطل على فناء ثان اصغر  
مساحة من الفناء الاول ، ومحاط مثله بالجدران والابراج  
الصغيرة السوداء

ومن حول الفناء الرئيسي ، توجد مقاعد من الحجر ظهورها  
الى الجدار الضخم ، ويقوم في وسطه عامود من الحديد مثنى  
من أعلى ليعلق به المصباح

وما كادت الساعة تدق معلنة الثانية عشرة ظهرا ، حتى  
فتح على حين فجأة باب كبير مرتفع يكمن وراء تجويف في  
البناء ، وظهرت عربة « كارو » يحرسها نفر من الجنود بدت  
عليهم القذارة والوجل ، يرتدون زيا أزرق ، وعلى أكتافهم  
شارات حمراء ، وسيور صفراء ، من التي تعلق فيها  
البنادق . ودخلت هذه العربة الفناء في تهاقل محدثة صوتا  
حديديا . كانت تلك هي عربة السجنانيين قد جاءوا معهم

## اغلال من حديد

وفي تلك اللحظة عينها ، وكما لو كان الصوت الصادر من  
العربة قد أيقظ كل أصوات السجن ، ضج المتفرجون من  
النوافذ بصيحات المرح والأغاني ، وبالتهديد والسب والشتائم  
المختلطة بقهقهة عالية ، وضحكات سماعها يؤلم الأذان ، وهم  
الذين كانوا الى تلك اللحظة صامتين لا يتحركون ، كانت  
وجوههم تبدو كأنها وجوه الشياطين ، وقد بدت مكفهرة مكشرة  
عن انيابها ، وبرزت قبضات ايديهم من خلال قضبان النوافذ ،  
وارتفعت كل الأصوات ، ولعت كل الأعين ، فروعتنى رؤية  
كل ذلك الشرر وهو يتطاير من خلال هذا الرماد

ومع ذلك ، فقد شرع عمال السجن ، الذين كنت اميز من  
بينهم عددا من الفضوليين ، كانوا قد قدموا من باريس ، نظرا  
لما كان باديا عليهم من الرعب ونظافة الهندام ، وشرع عمال  
السجن هؤلاء في تأدية عملهم في هدوء ، فصعد احدهم فوق  
العربة والقى الى رفاقه بالأغلال الحديدية ، واطواق السفر ،  
ورزم السراويل المصنوعة من التيسل الرخيص . ثم قسم  
العمال العمل فيما بينهم ، فذهب فريق منهم الى ركن من  
أركان الفناء ليمسكوا فيه السلاسل الطويلة التي كانوا يسمونها  
في لغتهم « الدوبارة » ، أما الآخرون فقد بسطوا الأقمشة  
والقمصان والسراويل على « البلاط » ، بينما كان أكثرهم  
فراصة يفحصون الأطواق الحديدية المخصصة لأقدام السجناء ،  
تحت مراقبة قائدهم وهو شيخ بدين ، ثم يمتحنون صلابتها

بحكها في البلاط حتى يتطاير منها الشرر

وكان هذا كله يجري بينما كان السجناء يصفقون في سخرية واستهزاء ، ولم يكن يطفى على اصواتهم الا ضحكات صاخبة صادرة من المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة ، الذين كان ذلك يعد من اجلهم ، وهم يقفون على مرأى منا عند تقاطع السجن العتيق الذي يطل على الفناء الصغير

وما ان تمت هذه الاستعدادات حتى جاء رجل في ثياب موشاة بالفضة كانوا يدعونهم « السيد المفتش » ، واعطى امرا الى مأمور السجن . وما هي الا لحظة حتى لفظ بابان منخفضان و ثلاثة عددا ضخما من الرجال دفعة واحدة ، وامتلا الفناء بكتل كالسحاب من السجناء البشعين المهلهلين وهم يصيحون ويزارون . كان هؤلاء هم المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة !

وتضاعف الفرح في النوافذ لدى دخول هؤلاء ، وجيا السجناء بعضهم - وهم الاسماء الكبيرة في الليمان - بالتصفيق والتهليل ، فكان هؤلاء يتقبلون ذلك منهم في نوع من التواضع المزوج بالفخر ، وكان اكثرهم يلبسون فوق رءوسهم قبعات غريبة الشكل كانوا قد صنعوها بايديهم من قش الزنانة ، كي تلفت الانظار الى رءوسهم في المدن التي سوف يمرون بها . وكان التصفيق لهؤلاء بالذات اكثر شدة وحماسا ، بل ان احدهم بصفة خاصة - وهو شاب في السابعة عشرة كان وجهه شبيها بوجه فتاة - قد اثار مظاهر الحماسة والانفعال وهو خارج من زنزانه حيث احتجز منذ ثمانية ايام ، وكان قد صنع بنفسه من قش زنزانه رداء كان

يغطيه من راسه الى قدميه ، فدلغ الى الفناء وهو يلف ويدور حول نفسه في خفة لا تحاكيها الا خفة ثعبان ، فشارت بسببه عاصفة مجنونة من التصفيق ، ومن صيحات السرور . وكان المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة يردون على ذلك من ابراجهم ، فكان هذا التجارب في المشاعر وتبادل المرح بين المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة الراحلين لتنفيذ العقوبة وبين زملائهم الذين ينتظرون دورهم شيئا مرعبا حقا . ومهما كان المجتمع هنا يمثله السجناء والفضوليون الذين استولى عليهم الذعر ، فان الجريمة كانت تتحدها في تلك اللحظة وجهها لوجه ، وكانت تجعل من هذه العقوبة المفزعة عيدا عائليا

وكلما وصل سجناء آخرون ، كانوا يدعونهم بين صفين كثيفين من الحراس الى الفناء الصغير المحوط بالاسوار الحديدية حيث كان ينتظرهم الاطباء . وهناك ، بذل كل واحد منهم جهدا أخيرا ليتجنب السفر متعللا بعذر من الأعذار الصحية : فهو اما مريض بعينه ، واما مقطوع اليد ، واما انه يعرج بساقه ، لكن الاطباء كانوا يجدونهم في الاغلب الاعم صالحين لليمان ، فكان كل منهم يرضخ عندئذ في غير مبالاة ، متناسيا في دقائق قليلة عجزه المزعوم الذي كان مصابا به طول حياته

ثم فتح باب الفناء الصغير مرة أخرى وأخذ أحد الحراس ينادى بأسماء السجناء مرتبة حسب الحروف الأبجدية ، فخرج المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة عندئذ واحدا واحدا ، وذهب كل منهم لينتظم واقفا في الصف في ركن الفناء الكبير

الى جوار زميل له ، جمعته به صدفة الحرف الذى يبدأ اسمه به .  
وهكذا كان كل واحد منهم يرى نفسه امام نفسه ، وكان كل  
واحد منهم يحمل قيده بنفسه جنباً الى جنب مع شخص  
مجهول ، واذا شاءت المصادفة أن يجد أحدهم صديقاً له فيهم ،  
فان القيد الحديدى كان يحول بينهما ويفصله عنه فصلاً لا سبيل  
الى الفكك منه ، فكان ذلك أبلغ الشقاء وأمره !

وبعد أن خرج نحو ثلاثين سجيناً أقفل الباب كما كان ،  
ثم صفهم أحد الجنود صفاً بعضاً فى يده ، وألقى امام كل  
واحد منهم بقميص وسترة وسروال من قماش رخيص ، ثم  
أشار بيده اشارة خاصة فشرعوا جميعاً فى خلع ملابسهم ،  
غير أن حادثاً غير منتظر وقع عندهم ، وكأنه كان قد تعمد  
اختيار تلك اللحظة بالذات ليحيل هذا الاذلال الى عذاب

كان الطقس الى تلك اللحظة جليلاً نوعاً ما ، ولئن كان نسيم  
شهر أكتوبر يشيع البرودة فى الجو ، فانه كان يشق من أن  
لاخر فى غيوم السماء الرمادية اللون ثغرة كان يسقط منها  
شجاع من الشمس . ولكن ما كاد المحكوم عليهم بالأشغال  
الشاقة ينزعون من على أجسادهم أسماط السجن البالية  
ويتقدمون عراة ليفحصهم الحراس المتشككون على مرأى من أعين  
الفضوليين الغرباء الذين كانوا يدورون من حولهم ليفحصوا  
أكتافهم ، حتى أظلمت السماء فجأة وهطل وأبل من أمطار  
الحريف التى تشبه السيل ، فغمر الفناء المربع بالماء البارد  
وأغرق رهوس السجناء الحاسرة وأوصلهم العارية وملابسهم



## التعسة الملقاة على الأرض

وفى طرفة عين ، كان مدخل الفناء قد خلا تماما من كل شخص لم يكن سـجـانا أو سـجـينا ، وهرع فضوليو باريس ليحتنوا تحت مداخل الأبواب

ومع ذلك ، فقد استمر المطر ينهمر مدارا ، ولم تكن نرى فى الفناء سوى المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة وقد وقفوا عراة يتصبب الماء من فوق جلودهم على أرض الفناء الفارقة فى الماء . ان صمنا حزينا قد أعقب تحديهم الصاخب فوقفوا يرتجفون ، وأخذت أسنانهم تصطك وسيقانهم الناحلة وركباتهم ذات العقد ترتعد فتصطدم الواحدة بالأخرى . وكان منظرهم يستوجب الشفقة حقا ، وهم يسترون أجزاء أجسادهم العارية الزرقاء بهذه القمصان المبتلة وتلك الستر والسراويل التى يقطر منها الماء . لقد كان العرى خيرا لهم !

ان واحدا منهم ، واحدا فقط ، وهو شيخ مسن ، كان قد احتفظ بشيء من المرح ، فصاح قائلا وهو يجفف جسمه بقميصه المبتل : « ان هذا لم يكن ضمن البرنامج ! ، ثم أغرق فى الضحك ، وهو يلوح بقبضة يده نحو السماء

وبعد أن لبس السجناء ثياب السفر ، اقتادهم حراسهم فى مجموعات تضم عشرين أو ثلاثين شخصا الى ركن مظلل من الفناء حيث كانت القيود الممدودة على الأرض فى انتظارهم . وكانت تلك القيود عبارة عن سلاسل طويلة غليظة تقطعها افقيا وعلى بعد قدمين بانتظام سلاسل اخرى قصيرة قد ربطت فى

طرفيها طوق من حديد مربع الشكل يفتح عن طريق « مفصلة »  
في أحد جوانبه ، ويقفل من الجانب المقابل « بيرشمتة » بالحديد  
ويظل هذا الطوق الحديدي حول رقبة السجين طول مدة الرحلة  
وعندما نشرت كل هذه السلاسل على الأرض بدت لي كأنها  
هيكل عظمي لسمكة ضخمة

وأجلس السجناء في الوحل على الأرض الفارقة في الماء  
وبعد أن قيست الأطواق على أعناقهم ، جاء حادان من  
السجانين مزودان بسندانين متنقلين فبرشموا لهم تلك الأطواق  
« على البارد » بطرقها طرقا شديدا بمطرقة من حديد . فكانت  
هذه لحظة رهيبه اصفر لها وجه أكثر السجناء شجاعة ! لقد كانت  
كل ضربة من المطرقة على السندان المسنود إلى كتف السجين  
من ناحية ظهره تجعل ذقن المسكين تقفز إلى الامام ، وكانت  
ادنى حركة يمكن أن يأتى بها السجين من الامام إلى الخلف  
كفيلة بأن تطيح بجمجمته كأنها قشرة « عين جمل ! »

وما أن تمت هذه العملية حتى وجم السجناء وأظلمت  
وجوههم ، ولم يعد يسمع الا صليل السلاسل وصوت  
مكتوم كان يتردد بين حين وآخر ، صوت عصي السجانين على  
أجسام من يبدون تمنعا أو مقاومة . . . لقد كان بعض هؤلاء  
السجناء يبكون ، وكان الشيوخ منهم يرتعدون وهم يعضون  
على نواجذهم ، ووقفت أنا في نافذة الزنزانة أطل على الفناء  
وأنظر في رعب إلى كل تلك الصور المحزنة في اطرافها  
الحديدي

وهكذا ، فان زيارة السجنائين تلت زيارة الطبيب ، واعقب  
زيارة السجنائين تركيب الاطواق الحديدية حول رقاب السجناء  
المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة . . لقد كان مشهدا مرؤفا من  
ثلاثة فصول !

وظهر شعاع الشمس من جديد فبدأ كأنه قد أشعل كل هذه  
العقول ، اذ نهض السجناء معا دفعة واحدة ، كما لو كانوا قد  
تحركوا بفعل الحمى ، وتشابكت أيدي سجناء السلاسل  
الخمس الطويلة وانتظموا فجأة في حلقة ضخمة  
حول عامود المصباح الذي يتوسط الفناء ، واخذوا يدورون  
من حوله على نحو يتعب البصر وهم ينشدون احدى أغاني  
الليمان في لغة عامية دارجة ، وفي نغمة تارة شاكية باكية ،  
وأخرى صاخبة مرحة . وكنت أسمع بين حين وآخر  
صيحات جافة وضحكات ممزقة لاهثة تمتزج بكلمات هذه  
الاغنية الغريبة ، ثم تلا ذلك تصفيق حاد مجنون ، بينما كانت  
القيود الحديدية تصلصل ويصطك بعضها ببعض فتحدث  
نغما كان بمثابة الموسيقى لتلك الاغنية ، وهي موسيقى كانت  
أشد خشونة من ضوضائهم ! ولو بحث في مخيلتي عن  
صورة للعفاريت فلن أستطيع ان أتخيلها أحسن ولا أسوأ من  
هذه الصورة !

ثم أحضر الى الفناء طست كبير ، وقطع السجنائون على  
السجناء رقصهم بضربات من عصيهم ، ثم ساقوهم الى هذا  
الطست حيث كان المرء يرى شيئا طافيا كالعشب - لسيت

أدرى ما هو - فى سائل ساخن كان يتصاعد منه البخار  
لست أدرى ما هو كذلك ، فأخذوا يأكلون

وبعد أن فرغ السجناء من أكلهم القوا بما تبقى من طعامهم  
هذا ومن خبزهم الأسود على بلاط الفناء ثم عادوا الى  
الرقص والغناء من جديد ، ويبدو أنهم يتركون لهم شيئاً من  
هذه الحرية يوم يكبلون فى الاصفاد وكذلك فى الليلة التى  
تليها

ومكثت أرقب هذا المشهد الغريب فى يقظة كبيرة ، واستطلاع  
منهوم ، وانفعال عميق ، حتى أنى نسيت نفسى تماماً ! ان  
شعورا جارفا من الشفقة كان يجتاحنى فيمزق احشائى ،  
وكانت ضحكاتهم تملأ عيني بالدموع

وفجأة ، وخلال هذا الحلم العميق الذى كنت مستغرقا فيه  
رأيت الحلقة الضخمة تكف عن الصياح والدوران ، وساد صمت  
عميق ثم فجأة اتجهت أنظارهم الى النافذة التى كنت أشغلها ،  
وصاحوا جميعا ، وهم يشيرون الى بأصابعهم قائلين : « المحكوم  
عليه بالاعدام ! .. المحكوم عليه بالاعدام ! » .. وقد غمرهم  
فى تلك اللحظة مرح مضاعف ..

وتصلبت فى مكاني متحجرا ! فقد كنت أجهل من أين  
عرفونى وكيف تعرفوا على !

وصاحوا بى قائلين ، وهم يطلقون ضحكات ساخرة بشعة:  
« عمت صباحا ! .. طاب مسأوك ! » .. ونظر الى واحد من  
بينهم ، وهو شاب يافع كان أصفر المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة  
المؤبدة سنا ، وكان وجهه خشنا لامعا جامد الملامح ، نظرا الى

نظرة تفيض بالحسد ، وهو يقول : « انه لسعيد الحظ !  
فسوف يمحي من العالم ! وداعا ايها الزميل ! »

لست بمستطيع ان اعبر عما كان يدور فى نفسى .. اننى  
كنت فى الواقع زميلا لهم ، فساحة الاعدام هى شقيقة لليمان  
« طولون » ، بل انى كنت فى درك أسفل منهم ! .. انهم  
كانوا يشرفوننى ..

واجتاحتنى رجفة عاتية .. نعم ، انى زميل لهم ومن الممكن  
ان اصير - انا نفسى - بعد أيام مشهدا يملأ عليهم ابصارهم !  
وكنت قد بقيت فى النافذة بلا حراك وقد شلت أوصالى  
وتملكنى الدهول . ولكننى حينما رايت سجناء السلاسل  
الخمسة الكبرى يتقدمون الى الامام ثم يندفعون نحوى وهم  
يوجهون الى كلمات ودية جهنمية ، وحينما سمعت ضجيج  
قيودهم الفظيع يختلط بصيحاتهم المجلجلة ، وبوقع خطواتهم  
تحت نافذتى عند أسفل الجدار ، خيل الى أن هذه الشرذمة  
من الشياطين كانت تتسلق البناء الى زنزانتى اتعسة ،  
وانطلقت صيحة مروعة ثم اندفعت نحو الباب والقيت نفسى  
عليه بكل قواى كى احطمه ، لكنى لم اجد سبيلا الى الفرار ،  
فقد كان الباب مقفلا من الخارج بالمزلاج .. وعدت أحاول  
اقتحام الباب ، وانا اناذى وأصرخ فى جنون ، فبدأ لى وقتئذ  
انى كنت أسمع اصوات السجناء المخيفة تقترب منى أكثر  
فأكثر ، وظننت أنى أرى رؤوسهم المنكرة تبدو بسرعة على حافة  
نافذتى ، فصحت صيحة فزع أخرى مدوية ثم سقطت مغشيا  
على

## اللحن الحزين

وعندما افقت من غشيتى كان الليل قد اقبل ، ووجدت  
نفسى راقدًا فوق « برش » ، وكان هناك مصباح ترتجف ذبالبته  
قرب السقف مكنتى من ان ارى « ابراشا » اخرى مرصوصة  
الى جوار « برشى » عن يمين ، وعن شمال ، فادركت انهم  
نقلونى الى مستشفى السجن

وظللت مستيقظًا لحظات ، ولكن بلا تفكير وبلا ذاكرة وقد  
احسست بسعادة غامرة لانى نائم على سرير . وليس ثمة شك  
فى ان سرير المستشفى هذا كان خليقا فى اى ظرف آخر بان  
يجعلنى افر منه شفقة واشمئزازا ، غير انى كنت قد اصبحت  
شخصا آخر . . كانت ملاءة هذا السرير رمادية اللون خشنة  
الملمس ، وكان الغطاء ممزقا ، وكنت اشعر بقش الزنزانة من  
خلال تلك « المرتبة » . . ولكن هذا لم يكن بهم ! . . فقد كان  
فى وسعى ان ابسط اطرافى كما يروق لى فوق هذه الملاءة  
الرخيصة وتحت هذا الغطاء مهما بلغ من الرقة ، وكنت احس  
رويدا رويدا بزوال هذا البرد المروع الذى كان ينفذ حتى نخاع  
العظام ، والذى كنت قد الفته فى الزنزانة ، فاستسلمت مرة  
اخرى للنوم

واستيقظت من نومى على صوت جلبة كبيرة ، وكان الوقت  
فجرا . كان الصوت يأتينى من الخارج ، وكان سريرى

بجوار النافذة ، فنهضت وجلست فى الفراش لاستجلى مصدر  
هذا الصوت ..

كانت النافذة تطل على الفناء الكبير فى سجن « بيستر » ،  
وكان هذا الفناء يعج بالناس حيث كان صفان من جنود السجن  
القدهاى الاشداء يجدان مشقة كبيرة فى الاحتفاظ بممر مفتوح  
عبر الفناء بين هذه الكتل من الجماهير ، وبين هذين الصفيين  
من الجنود كانت خمس عربات « كارو » محملة بالرجال تتقدم  
فى بطء وهى تتعثر عند كل « بلاطة » .. كان هؤلاء الرجال  
هم السجناء المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة الذين تقرر  
رحيلهم

كانت هذه العربات مكشوفة ، وكانت كل واحدة منها محملة  
بمجموعة من السجناء تربطهم احدى السلاسل الطويلة الخمس،  
وقد جلسوا على جانبيها واتكأ بعضهم على بعض ، تفصل  
بينهم السلسلة المشتركة التى كانت تمتد بطول العربة ، والتى  
كان يقف عند آخرها على قيد خطوة من سلمها جندى يشهر  
بندقية معدة للاطلاق . وكانت صالصلة الاصفاد الحديدية تسمع  
عند كل هزة من هزات العربة ، كما كانت رءوس السجناء  
ترى وهى تقفز ، وسيقانهم المعلقة تتأرجح هنا وهناك

وكان ثمة رذاذ نافذ يثلج الهواء ويجعل سراويل السجناء  
الرمادية المصنوعة من التيل والتى كانت قد اسودت ، يجعلها  
تلتصق بركباتهم ، وكان ماء المطر يتصبب من لحاهم الطويلة ومن  
شعرهم القصير ويفمر وجوههم التى صارت بنفسجية اللون

وكنت اراهم وهم يرتجفون وقد اخذت اسنانهم تصطك من  
البرد والغضب

وكان هؤلاء السجناء من جهة اخرى عاجزين عن الحركة ،  
اذ ان المرء عندما يربط بسلسلة كهذه فانه لا يصبح الا جزءا  
من تلك الكتلة القبيحة التى يسمونها « الكردون » والتى تتحرك  
كانها رجل واحد . . ان الذكاء لا بد عندئذ ان ينمحي ، فطوق  
الليمان الملفوف حول العنق يخنق العقل ويحكم عليه بالموت ،  
اما الحيوان نفسه (١) فيجب الا تكون له حاجات او شهية  
للطعام الا فى ساعات محددة

وهكذا ، فان السجناء كانوا لا يستطيعون حركة وقد اصبحوا  
شبه عراة ، ورءوسهم حاسرة وارجلهم معلقة فى الهواء . كانوا  
يبدءون ، على هذا النحو ، سفرهم الذى يستغرق خمسة  
وعشرين يوما ، وهم محمولون على نفس العربات ويرتدون نفس  
الثياب ، تحت وهج الشمس المحرقة وتحت امطار نوفمبر  
الباردة ، حتى لبدو ان الناس كانوا يريدون ان تشاركهم  
السماء مناصفة القيام بعملهم كجلادين !

وكان قد نشب بين هذا الجمهور وبين العربات حوار رهيب :  
سب من ناحية ، وتحد من الناحية الاخرى ، وشكاوى وشتائم  
من الجانبين . . ولكن ماهى الا اشارة صدرت من القائد (٢) حتى

---

(١) يعنى الناحية الحيوانية فى السجن اى البدن ومطالبه

(٢) الكابتن قائد حرس السجن



رايت وابلا من ضربات العصي التي كان يحملها الجنود ينهال على العربات الخمس فيفرق اكتاف السجناء او رءوسهم بلا تمييز ، فعاد كل شيء الى الهدوء ، ولكنه كان ذلك الهدوء الظاهري الذي يسمونه نظاما ، اذ كانت أعين هؤلاء التعساء تفيض بالانتقام ، وكانت أيديهم تتقلص على ركبهم في عنف ظاهر

واختفت العربات « الكارو » الخمس ، التي كان يحرمها فرسان البوليس وجنود السجن المشاة ، واحدة بعد أخرى تحت ذلك الباب المرتفع ذي « القبوة » ، باب سجن « بيستر » ، وتبعتها عربة سادسة تكدست عليها المواقد والأواني النحاسية والسلاسل الاحتياطية (١) . وكان نفر من السجناء قد تأخروا قليلا في المقصف (٢) فخرجوا مسرعين ليلحقوا بالعربات

ثم انفض الجمهور وتلاشى هذا المنظر كأنه رؤيا أو خيال عابر ، وأخذت الجلبة التي كانت تصدر عن تلك العربات الثقيلة تتضاءل شيئا فشيئا ويضعف معها وقع سنايك الحيل على طريق « فونتنبلو » المرصوف ، وقرقة السياط ، وصليل السلاسل ، وصيحات الجماهير الذين كانوا يتمنون للسجناء في سفرهم كل المصائب والنكبات

---

(١) سلاسل وأطواق حديدية اضافية وقطع غير للطوارئ

(٢) « كاتين » السجن

ومع ذلك ، فقد كان هذا بالنسبة اليهم مجرد بداية فحسب!  
فماذا كان يقول لى المحامى اذن ؟ .. الاشغال الشاقة  
المؤبدة ! .. آه ! ان الموت خير عندى ألف مرة ! انى أفضل  
المشبنقة على الليمان ، والفناء على جهنم (١) ، وأوثر أن أسلم  
رقتى لسكين الدكتور د جيوتان ، على أن أسلمها لطوق  
السجان !  
آه ! الاشغال الشاقة المؤبدة ؟ ! .. رحماك أيتها السماء  
العادلة !



لم أكن مريضا لسوء الحظ ، واضطرت فى اليوم التالى الى  
الخروج من مستشفى السجن لتتلقنى الزنزاة مرة ثانية  
اننى لست مريضا ! هذا حق ، فانا شاب قوى ، أستمتع  
بصحة جيدة ويجرى الدم فى عروقى فى حرية ، وكل أعضاء  
جسمى تطيع سائر نزواتى .. أنا قوى الجسم والروح ،  
وتكوينى يمكننى من أن أعيش طويلا .. نعم ، ان هذا كله  
صحيح .. ومع ذلك ، فانى مصاب بمرض آخر ، بمرض  
مميت من صنع يد الانسان

فمنذ أن خرجت من مستشفى السجن تملكتنى فكرة مؤلمة،  
فكرة سوف تورثنى الجنون ! فقد خطر ببالى أنى ربما استطعت  
الهرب لو أنهم تركونى فى هذا المستشفى ، فهؤلاء الاطباء

---

(١) يعنى المؤلف عذاب الليمان والاشغال الشاقة المؤبدة

والراهبات كان يبدو أنهم يعنون بأمري .. اننى سوف أموت هكذا وأنا بعد شباب صغير السن .. سوف أموت مثل هذه الميتة الشنعاء !

لقد بدا لى أنهم كانوا يرثون لحالى لكثرة ما كانوا يحومون حولى ويتزاحمون الى جوار سريرى .. آه ! صنمنا أيها التعس ! .. فهو مجرد حب استطلاع فحسب .. وفوق هذا ، فهؤلاء الاشخاص وان حاولوا انقاذى حقاً من الحفى ، فليس في استطاعتهم أن ينقذونى من حكم الاعدام ! .. ومع ذلك ، أفليس الأمر يسيراً عليهم للغاية ؟ مجرد باب يترك مفتوحاً ! ماذا يضيرهم لو أنهم فعلوا ذلك ؟

ولكن واحسرتاه ! لم تعد أمامى فرصة الآن .. إن طلب الاستئناف الذى تقدمت به سوف يرفض لأن كل شيء قد سار طبقاً لنص القانون ، فقد شهد الشهود شهادة كاملة ، وترافع المدراء العموم مرافعة جيدة ، وحكم القضاة حكماً صحيحاً ! اننى لا ابرل على الاستئناف ، اللهم الا .. كلا ، كلا .. ان هذا حرب من الجنون ! ولم يعد ثمة أمل ! نطلب استئناف الحكم ابرس الا حبلاً يمسك بتلابيبك وانت معلق فوق الهوة فتسمعه .. واما كل ليل ليل مع كل لحظة حتى ينقطع تماماً .. انه لسكين المفصلة فلندما تهوى على عنق المرء فى ستة أسابيع !

آه لو صدر عفو عنى ! .. عفو ؟ ! من ذا الذى سوف يهديره ؟ ولماذا ؟ وكيف ؟ .. من المحال أن يصدر العفو عنى ، كل ذلك عبرة للناس ، وضرب مثل .. كما يقولون

لم تعد هناك أمامي سوى ثلاث خطوات أخطوها ، ثلاث  
فحسب : سجن « بيستر » ، ثم سجن « الكونسير جوري » ،  
٠٠ وأخيرا ، ساحة الأعدام !



وكنت قد جلست في الشمس بجوار النافذة خلال  
الساعات القليلة التي قضيتها في المستشفى ٠٠ ان الشمس  
قد عادت الى الظهور ، أو على الأقل ، كنت أتلقى من أشعتها  
كل ما كانت تسمح لي به منها قضبان النافذة الحديدية

جلست هناك وقد وضعت رأسي الثقيل المحموم بين يدي  
التي كانتا لاتقويان على حمله ، واسندت مرفقي الى ركبتي  
وقدمي الى قضبان مقعدي ، لأن الانهاك كان قد بلغ مني مبلغا  
جعلني انحنى وانثنى على نفسي كما لو كنت جسما لم تعد في  
أوصاله عظام ولا في لحمه عضلات

وكانت رائحة السجن التي تزكم الأنوف تخنقني أكثر من  
أي وقت مضى ، وكانت أصوات كل هؤلاء السجناء المختلطة  
بصليل سلاسلهم لاتزال تطن في أذني ، وكنت أقاسي كئلا  
كبيرا في سجن « بيستر » ، حتى أنه كان يبدو لي ان الله في  
عدله ورحمته سوف تأخذه الشفقة بي فيرسل الى طائرا  
صغيرا على الأقل ليفرد هنا أمامي على حافة هذا السقف  
الاردوازي المنحدر

ولست أدري ان كان الله الرحيم هو الذي استجاب عندئذ  
لدعائي أو انه الشيطان الرجيم ، فقد سمعت في نفس اللحظة

تقريبا صوتا يرتفع تحت نافذتى ولكنه لم يكن صوتا لطائر ،  
وانما كان أجمل من ذلك بكثير .. كان صوتا نقياً ، صوتا  
نضرا شجيا لفتاة في الخامسة عشرة .. فرفعت راسى فجأة  
كانسان ادركه الفزع ، واخذت استمع في نهم الى الاغنية التى  
كانته ترددها الصبية في نغم بطيء حزين كأنه هديل الحمام  
.. فجاءنى صوتها ينوح قائلاً :

كان ذلك في شارع « ماى » ..

حيث اعتدى على قهرا ثلاثة اشقياء ..

ثلاثة ملاعين هجموا على ..

ولم استطع ان اعبر عن مدى مرارة الصدمة التى احسست  
بها في تلك اللحظة .. واستطرد الصوت يقول :

لقد هجموا على وطرحونى ارضا

ومر شاب من حيننا مصادفة

فقلت له : اننى في محنة ..

فبلغ ذلك لفتيان حيننا الشجعان !

فقال لى : « انى هزرت شجرة البلوط

ونزعت منها كثيرا من الاغصان »

فاوسعهم ضربا حتى تركونى

وفررت وخذائى ممزق ، وكذلك ملابسى

لسوف ارقص مع هذا الفتى في يوم العيد

ولم يسبق لى أن سمعت هذه الاغنية من قبل ، وكنت لا استطيع  
ان اسمع المزيد من كلماتها التى كانت تحمل بين طياتها شكوى

مفهومة وغامضة معا .. كما غنت الفتاة كذلك أغنية تقص  
شجارا وقع بين مجرم وبين رجال البوليس ، وتحدث عن  
لص يقابل شخصا ويرسله الى زوجته بهذه الرسالة الرهيبة :  
« انى قتلت رجلا وقبض على ، ، وأغنية أخرى ( ١ ) جاء بها :  
ان سيدة ذهبت الى قصر « فرساي » لتشكو مجرما الى  
الملك ، وأن صاحب الجلالة قد ثار لذلك ، وقال متوعدا المذنب  
انه : « سيجمعه يرقص دون ان تكون هناك « ارضية » تحت  
قدميه ! »

كانت الصبية تردد كل تلك الاغاني في نغمة حلوة تفيض  
بالرقة والحنان ، وفي صوت لم تسمع اذن امرىء قط اشجى  
ولا اعذب منه ! حتى اننى جمدت في مكاني محطما مبهوتا  
تغمرنى الحسرة والاسف ! فقد كانت كل تلك الكلمات الفظيعة  
المنبعثة من هذا الفم النضر الجميل شيئا يبعث على الاشمزاز  
حقا .. كانت تبدو وكأنها لعاب قوقعة فوق وردة يانعة !

وما انا بمستطيع ان اصور ما كنت اشعر به وقتئذ ، لقد  
كنت مجروحا ، ومسرورا في آن واحد ! ان لهجة الكهف  
والليمان ، هذه اللغة الدامية الفظة ذات الرنة الكئيبه والطابع  
العامى (٢) التى امتزجت بصوت فتاة يافعة فى فترة انتقال  
لطيفة بين صوت طفلة بصوت امرأة ، كل تلك الالفاظ رديئة

---

(١) ترجمنا مضمون هذه الاغنية بمعناها فحسب لتمدر نظمها في  
ابيات موزونة ومقفاة كما وردت في النص الفرنسى  
(٢) اللهجة الشائعة بين العمال والطبقات المنحطة او الجاهلة

الصياغة كانت الفتاة تغنيها ، وترتلها ، وتنظمها دررا ثمينة ،  
آه ! ما اشد عار السجن وشناعته ! ان فيه لسما يلمح  
كل شيء . كل شيء فيه يذبل ، حتى اغنية فتاة لا تتجاوز  
الخمسة عشر ربيعا .. اذا عثرت فيه على طير ، وجدت  
جناحه ملطخا بالوحل .. وان قطفت به زهرة وشممتها ،  
تأذيت من رائحتها البغيضة

آه لو كنت استطيع الفرار ، لجريت عندئذ خلال الحقول  
بكل ما اوتيت من قوة وعزم !

تأذ ، فليس ينبغي أن اجرى وقتئذ ، فذلك يلفت  
الانظار ويعث على الريبة والشك ، بل ان الامر على العكس ،  
اذ يجب على ان اسير في تودة وانا اغنى مرفوع الرأس ..  
يجب ان احاول جاهدا ان احصل على قميص عتيق مفتوح  
!زرق اللون وبه رسوم حمراء ، فهذا يحكم التنكر ، اذ ان كل  
بائعي الخضرا في الضواحي يلبسون مثل ذلك

انى اعرف على مقربة من « أركوى » (١) اجمة من الاشجار  
بجوار مستنقع من المستنقعات حيث كنت أتردد مع  
رفاقى لصيد الضفادع في يوم الخميس من كل اسبوع عندما  
كنت طالبا بالمدرسة الثانوية ، وسوف اختبئ هناك الى ان  
يهبط الظلام ، ثم استأنف سيرى تحت جناح الليل كى اذهب  
الى « فانسين » .. كلا ، كلا .. فسوف يحول النهر هناك بينى

---

(١) مكان في ضواحي باريس

وبين المضى قلما ، سوف أيم أذن شطر « أرباجون » -  
وسوف يكون من الاوفق أن اتجه ناحية « سان جرمان » ،  
ثم اذهب الى « الهافر » (١) واستقل اية سفينة الى انجلترا  
- ولكن ما جدوى كل ذلك ؟ اذلا أكاد اصل الى « لونجيمو »  
حتى يمر بي جندي من رجال البوليس ويطلب الى ان ابرز  
بطاقتي الشخصية ! .. اننى هلك لا محالة ! لقد ضعت !

آه ! يا لى من حاله بائس ! على اذن ان احطم الجدار اولاً  
.. ان احطم الجدار الذى يسجننى وسمكه ثلاث اقدام ! ..  
الموت يا الهى ! .. الموت !

عندما أفكر فى انى اتيت الى هنا ، الى « بيستر » ، وانا  
غلام صغير لأرى البئر الكبيرة ... والمجانين آه !



وفيما انا عاكف على كتابة هذا كله ذوى نور مصباحى وطلع  
الفجر .. ثم دقت ساعة الكنيسة الصغيرة تعلن السادسة  
ما معنى ذلك ؟ .. ان حارس زنزانتى التوبتجى دخل  
لتوه عندى وخلع قبعته ، ثم حيانى معتذراً عما سببه لى من  
ازعاج ، وطالب منى ان أعين له ما اریده طعاماً لفظورى ، طلب  
منى هذا ، وهو يحاول جاهدا ان يكسب نبرات صوته الغليظ  
الخشن مسحة من الرقة والظرف

فاجتاحتنى رجفة عاتية ، وهمس فى أعماقى صوت يقول :

---

(١) مينه فرنى على بحر المانش



« ترى ايتم اليوم تنفيذ الحكم ؟ »

نعم .. انه اليوم !

لقد حضر مدير السجن بنفسه لزيارتي وسألني كيف  
يستطيع ان يرضيني وكيف يمكن ان يكون نافعا لى فى اى  
شئ ، وعبر لى عن امله فى الا تكون لى اية شكوى منه او من  
مرءوسيه ، ثم سألنى فى اهتمام عن صحتى ، وعن الحنّال  
اللى قضيت فيها الليل .. وخاطبني بقوله : « ياسيدى »  
وهو يغادر الزنزانة !

انه اليوم !

ان هذا السجن لا يعتقد ان لى شكوى منه او من  
مرءوسيه .. انه على حق ، فسوف لا تنفعنى الشكوى ..  
انهم قد قاموا بواجبهم فحرسونى خير حراسة ، وفوق هذا ،  
فقد كانوا مؤدبين عند وصولى وعند رحيلى .. افلا ينبغى  
اذن ان اكون راضيا مسرورا ؟

ان هذا السجن الطيب انما يمثل السجن مجسما ، بابتسامته  
الساذجة العذبة ، وكلماته الرقيقة اللطيفة ، وعينه التى تمتدح  
وتتجسس ، ويديه الضخمتين العريضتين .. ان سجن  
« بيستر » قد تقمص هذا الرجل .. كل شئ من حولى هو  
سجن بالنسبة الى ! انى اجد السجن فى جميع الصور  
والاشكال : اجده فى صورة الانسان كما اجده فى شكل  
القضبان او فى المزاليج والاقفال .. فهذا الجدار سجن من  
الحجر ، وذاك الباب سجن من الخشب ، وهؤلاء الحراس

سجن من لحم وعظم . . ان السجن كائن خفى رهيب شامل  
لا يتجزأ ، نصفه سكن ونصفه انسان ، وانا فريسته ، وهو  
يحيطنى بمخالبه ويحتضننى بكل جوارحه وثنائياه ، فهو  
يفلق على جدرانه المبنية من الجرانيت ، ويقفل على باقفال من  
الحديد ، ويراقبنى بعيني السجن  
آه ! يالى من بائس . ماذا سيحدث لى ؟ ماذا سيفعلون  
بى ؟



## الكاهن

أتى الان هادىء ، فقد انتهى كل شىء ، انتهى تماما . .  
لقد خرجت من دوامة القلق المرعبة التى كانت قد القتنى فيها  
زيارة الطبيب . ذلك اتى اعترف بانى كنت لا ازال آمل ، اما  
الان ، والحمد لله ، فلم يعد ثمة أمل لى  
وهذا هو ما حدث منذ لحظة :

حينما دقت الساعة معلنة السادسة والنصف - بل ار  
ذلك كان فى الربع الاخير من هذا النصف - فتح باب زنزانتى  
من جديد ودلف اليها شيخ أشيب الشعر ، يرتدى «ردنجوتا»  
فاتم اللون . وفتح الرجل « الردنجات » قليلا فرأيت ثيابه  
البيضاء ، « وياقته » الناصعة . لقد كان قسيسا  
لم يكن هذا القسيس واعظ السجن ، وهذا امر كئيب .  
وجلس الرجل قبالتى ، وقد ارتسمت على شفثيه ابتسامة  
عريضة ، ثم هز رأسه ورفع بصره الى السماء ، أعنى الى  
السقف ، سقف الزنزانة ! . . لقد فهمت !  
وقال لى رجل الدين :

- أنت على استعداد يابنى ؟

فأجبتة قائلا فى صوت مختنق :

- لست مستعدا ولكننى « جاهز » !

ومع ذلك ، فقد غامت عيذى ، واضطرب بصرى ، ونضح  
من كل أعضاء جسمى عرق بارد غزيز ، وأحسست بصدغى  
ينتفخان ، وامتلات أذناى بالطنين

وكان الشيخ الطيب يتكلم ، بينما كنت أترنح على مقعدى  
كإنسان نائم ، أو هذا هو على الأقل ما بدا لى فى تلك اللحظة ،  
وأحسبنى أذكر أنى رأيت شفقيه تتحركان ، كما رأيت بريق  
عينيه ، واهتزاز يديه

وفتح باب الزنزانة مرة أخرى ، فأخرجنى صرير المزاليج  
من ذهولى وقطع على الرجل حديثه ، ثم دخل سيد لم أره من  
قبل ، يرتدى ثيابا سوداء ومعه مدير السجن . وقدم الرجل  
نفسه لى ، وحيانى فى احترام عميق . وكانت ترتسم على  
وجه الرجل مسحة من حزن « رسمى » مضطجع ، هو نفس  
الحزن الذى تراه على وجه اللحاد « الحانوتى » ومعاونيه ، وكان  
يمسك فى يده ورقة ملفوفة

وقال لى الرجل وهو يبتسم ابتسامة مؤدبة :

- سيدى . . انى « محضر » من قبل محكمة باريس الملكية ،  
ويشرفنى أن أحمل لك رسالة من قبل السيد النائب العام  
فأجبتة قائلا بعد أن ذهب عنى أثر الهزة الاولى ، واستعدت  
حضور ذهنى كله ::

- انه السيد النائب العام ذاته الذى طالب برأسى فى الحاج ،  
وانه لشرف كبير لى ياسيدى أن يكتب لى ، وأمل أن يثلج

موتى صدره ويدخل على نفسه أبلغ السرور ، اذ يشق على أن  
اعتقد أنه ألح فى طلب موتى بحماس كبير فى الوقت الذى لن  
يهتم فيه بهذا الأمر بعد الآن

لقد قلت هذا كله وسكت لحظة ، ثم استطردت أقول فى  
صوت ثابت النبرات : « اقرأ ما عندك أذن يا سيدى ! »

فاخذ « المحضر » يقرأ على رسالة طويلة ، وهو يتغنى فى  
نهاية كل سطر ، ويتردد فى وسط كل كلمة . كان ذلك رفضاً  
للطلب الذى تقدمت به لاستئناف الحكم . وأضاف الرجل قائلاً  
بعد أن فرغ من تلاوة رسالة النائب العام ، ودون أن يرفع  
بصره عن أوراقه المدموغة : « ان الحكم سينفذ اليوم فى ساحة  
الاعدام ، وسوف نرحل فى تمام الساعة السابعة والنصف  
الى سجن « لاكونسيير جورى » . هل لك أن تفضل فتتبعنى  
يا سيدى العزيز ؟ »

وكنت لم أعد أنصت الى الرجل منذ وقت ليس بقصير . وكان  
مدير السجن يتبادل الحديث مع القسيس ، بينما ظلت عينا  
« المحضر » مثبتتين على أوراقه ، وكنت أنا الى جوار الباب الذى  
كان لايزال موارباً . آه ! أيها التعس ! هناك فى الدهليز أربعة  
حراس معهم بنادقهم !

وأعاد « المحضر » سؤاله على وهو ينظر الى فى هذه المرة ،  
فأجبتة قائلاً :

– سأتبعك يا سيدى فى أى وقت تريد . انى رهن اشارتك!  
فحيانى قائلاً وهو يتهاى للانصراف :

- سوف أشرف بالحضور لأصطحبك معى بعد نصف ساعة

وانصرف الجميع عندئذ وتركونى وحدى .



يا الهى ! أما من وسيلة للفرار ؟ أية وسيلة كانت ؟  
يجب أن أهرب . هذا لا بد منه ، وفى الحال ! من الابواب ،  
من النوافذ ، أو من خلال فتحات أخشاب السقف ، حتى لو  
كلفنى هذا أن أترك لحمى على هذه الألواح ! يا للغضب !  
يا للشياطين ! يا للجنة ! لسوف تلزمنى أشهر بأكملها لنقب  
هذا الجدار ، ان كانت هناك آلات جيدة ، مع أنى لا أملك  
مسمارا واحدا ، ولم تعد أمامى حتى ساعة واحدة !





## الفصل الثالث

### الطريق إلى الموت





## في سجن (( لاكونسير جوى ))

هأنذا قد نقلت كما قال « المحضر » ، غير أن الرحلة جديرة  
بأن تروى

كانت الساعة تدق الساعة والنصف عندما ظهر المحضر  
مرة أخرى على عتبة زنزانتى . وقال لى الرجل : « انى فى  
انتظارك ياسيدى »

يا للأسف ! انه كان ينتظرنى حقا ، وكان معه آخرون !  
فنهضت من مكاني وخطوت خطوة واحدة ، فبدأ لى لحظتها  
أنى سأعجز عن أن أخطو خطوة أخرى لشدة ما كنت اشعر به  
من ثقل فى رأسى وخور فى ساقى ، ولكنى مع ذلك تمالكت  
نفسى ، وتابعت السير فى شىء من الارادة والثبات . والقيت  
نظرة أخيرة على سجن «بيستر» قبل أن أغادره - فقد كنت أحب  
زنزانتى هذه - ويؤسفنى انى تركتها خالية ومفتوحة ، مما  
اكسبها مظهرا غريبا !

انها لن تظل هكذا طويلا على كل حال ، فقد كان حاملو  
مفاتيح السجن يقولون انهم ينتظرون شخصا سوف ينزل فيها  
فى هذه الليلة ، وهو رجل محكوم عليه ، كانت محكمة الجنايات  
بصدد النظر فى أمره فى هذه الساعة

ولحق بنا الواعظ فى نهاية الدهليز ، وكان الرجل قد فرغ

للتو من تناول طعامه

وعند خروجي من الزنزانة ، أمسك مدير السجن بيدي في عطف ، وشدد على الحراسة بأربعة جنود من حراس السجن القدامى

وأمام باب مستشفى السجن ، صاح بي شيخ يحتضر قائلا : « الى اللقاء ! »

وبلغنا الفناء واستنشقت الهواء ، فأراحتني هذا بعض الشيء ولم نمش طويلا ، إذ كانت هناك عربة تجرها جياد قوية واقفة في الفناء الاول . . آه ! انها نفس العربة التي كانت قد نقلتني الى هنا . كانت من نوع العربات المستطيلة المكشوفة ، ومقسمة الى قسمين بقضبان من حديد ، تتقاطع على شكل شبكة شديدة الكثافة ، وكان لكل قسم من قسميها باب ، أحدهما في مقدمة العربة ، والثاني في مؤخرتها . وكانت العربة بأسرها شيئا بالغ القذارة ، أسود اللون حالكة ، ومغطى بالغبار ، الى حد أن عربة نقل الموتى كانت تبدو الى جوارها كأنها عربة لتتويج الملوك

وقبل أن أدفن في هذا القبر ذي العجلتين ، أقيت نظرة على الفناء ، نظرة انسان يائس ، كان يأمل بها أن تتداعى من أمامه الجدران . كان الفناء وهو مكان صغير مزروع بالاشجار ، كان ممتلئا بالمتفرجين أكثر مما كان يوم تكبيل المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة بالاصفاد إذ كان الناس قد احتشدوا بسرعة مذهلة

وكان مطر الحريف يتساقط وقتئذ كما حدث يوم رحيل  
السجناء المكبلين بالسلاسل ، وهو مطر دقيق بالغ البرودة ،  
لا يزال يهطل في هذه الساعة التي اكتب فيها ، وسوف يستمر  
طول النهار دون شك ، وسوف يستمر كذلك حتى بعد أن  
أرحل عن هذه الدنيا

وكانت الطرق مملوءة بالمياه « وبالمطبات » ، وكان الغناء غارقا  
في الماء والوحل ، وخامرني ساعتها شعور بالسرور لرؤية هذا  
الجمهور في الوحل

وصعدنا الى العربية ، فركب المحضر مع أحد الحراس في القسم  
الامامي منها وركبت انا مع القسيس وحارس آخر في المؤخرة ،  
وكان معنا أربعة جنود على ظهور الخيل يحيطون بالعربة ، وهكذا  
كان هناك ثمانية رجال - اذا استثنينا سائق العربة - يحرسون  
رجلا واحدا

وفيما كنت اهم بالصعود الى العربية رايت امرأة عجوزا ذات  
عينين رماديتين كانت تقول : « انى افضل هذا كثيرا على  
السلاسل ! »

اننى افهم ذلك ، فهو منظر يحيط به المرء بنظرة واحدة ،  
يحيط به في سهولة وسرعة اكثر مما يحيط بمنظر السلاسل ،  
وهو منظر جميل مثل هذا المنظر الاخير ، ولكنه اكثر منه راحة ،  
وليس فيه ما يسليك ، اذ انه ليس هناك سوى رجل واحد ،  
وعلى هذا الرجل وحده يقع من الكوارث ما يعادل الكوارث التي تقع  
على كل المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة مجتمعين ، غير ان

الشقاء فيه ليس موزعا بين كثرة من الناس ، وانما هو مركز ،  
كالخمر المركزة تكون اكثر لذة للشاربين

وتحركت العربية فند عنها صوت مكتوم وهى تمر من تحت  
قبوة الباب الكبير، ثم خرجت الى عرض الشارع ، فأغلق خلفها  
باب سجن « بيستر » الثقيل . وكنت احس فى ذهول بانى  
محمول كأنسان فاقد الوعي ، لا يستطيع أن يتحرك أو يصيح ،  
ويشعر بأن اناسا يدفنونه ، وكان رنين الاجراس الصفيرة  
المعلقة فى رقاب الخيل يصل الى سمعى فى غير وضوح ، تلك  
الاجراس التى كانت تجلجل بطريقة منتظمة فى رقاب  
جواد العربية وكأنها مصابة « بالزغطة » ، وكانت عجلات العربية  
المغطاة بالحديد تتخبط على الطريق المرصوف ، أو تحتك  
بصندوق العربية وهى تنتقل من « مطب » الى « مطب » ، محدثة  
صوتا يختلط بوقع سنايك الخيل التى تحيط بالعربة لحراستها ،  
وقرقة السوط الذى يحمله السائق ، كل ذلك كان يبدولى  
تأنه دوامة تحملنى وتلفنى فى طياتها

ومن خلال قضبان نافذة صغيرة فى العربية كانت مفتوحة  
أمامى ، كانت عيناي مثبتتين بصورة آلية على كلمات محفورة  
بأحرف كبيرة فى الجدار فوق الباب الرئيسى لسجن « بيستر »  
« ملجأ الشيخوخة » . وكنت اقول فى نفسى : عجباً ! يبدو ان  
هناك اناسا يشيخون هنا !

وكما يفعل المرء بين اليقظة والنوم ، أخذت أقلب هذه  
الفكرة على كل جوانبها فى نفسى الخاملة من الألم، وفجأة، تغير

المنظر الذي كنت اراه من خلال تلك الطاقة الصغيرة في اللحظة التي انتقلت فيها العربية من الشارع العريض الى الطريق الرئيسي ، واخذت أبراج كنيسة « نوتردام » تبدو لعيني باهتة زرقاء في ضباب باريس من خلال ذلك المنفذ الضيق ، فتغيرت كذلك وجهة نظري على الفور . ذلك اني كنت قد اصبحت آلة مثل هذه العربية . واعقبت فكرة سجن « بيستر » فكرة أبراج « نوتردام » ، فقلت في نفسي وانا أبتسم في غباء : ان الذين يكونون في اعلى البرج حيث يوجد العلم سوف يرون مرور العربية على صورة اوضح

واظن ان القسيس قد استأنف حديثه معي في تلك اللحظة بالذات ، فتركته يتكلم وانا أستمع اليه في صبر ، اذ كان يطن في اذني هدير عجلات العربية ، مختلطا بوقع سنابك الخيل ، وقرعة السوط ، وكان هذا الصوت الاخير صوتا اضافيا

وجلست أنصت في صمت الى وقع هذا الكلام الذي كان يطرق اذني على وتيرة واحدة ، كأنه خرير ماء النافورة ، فقد كان كلامه يزيد خواطري خمولا على خمول ، وتمر الفاظه من انماي متنوعة دائما ولكنها دائما نفس الشيء ، شأنها شأن الاشجار المرصوة على جانبي الطريق العريض ، عندما هزني فجأة صوت « المحضر » الموجز المتقطع - وكان جالسا في المقدمة - اذ جاءني يقول في لهجة تكاد تفيض مرحا : « حسنا يا سيدي القسيس ! ما هو الجديد الذي تعرفه ؟ »

وكان الرجل وهو يقول ذلك ملتفتا نحو القسيس ، فلم يرد

عليه هذا الاخير ، اذ كان يتحدث الى دون انقطاع ، وكان صوت  
العربة يصم اذنيه عن السماع . فاستطرد « المحضر ، قائلا  
وهو يرفع عقيرته في هذه المرة ، كى يعلو صوته على هدير  
العجلات : « حقا انها عربة جهنمية ! ، وسكت لحظة قصيرة  
ثم اردف يقول : « انها « المطبات » دون شك ، هي التي تجعل  
أحدنا لا يسمع الآخر . ماذا كنت أريد أن أقول ؟ آه ! نعم ، قل  
لى ياسيدى القسيس لو تفضلت . . هل تعرف الخبر الجديد  
فى باريس اليوم ؟ »

فانتفضت كما لو كان الرجل يتحدث عنى ، بينما اجابه  
القسيس قائلا بعد أن سمعه أخيرا :

– كلا ، لم أجد متسعا من الوقت لقراءة صحف الصباح ،  
وسوف أرى ذلك فى المساء . اننى حينما أكون مشغولا هكذا  
طول اليوم ، أوصى البواب بأن يحتفظ لى بالصحف حتى أقرأها  
عند عودتى فى المساء

– أوه ! من المستحيل انك لا تعرف خبر باريس ! خبر  
هذا الصباح !

وهنا تدخلت فى الحديث قائلا :

– احسب انى أعرف هذا الخبر

فنظر الى المحضر ثم قال :

– انت ! احقا ؟ اذن فما هو رأيك ؟

فقلت له :

– انك محب للاستطلاع !

فاجابنى الرجل بقوله :

- لماذا ياسيدى ؟ ان لكل منا رايه السياسى ، وانا احترمك الى حد انى اعتقد ان ليس لك راي فى هذا الموضوع . اما انا فانى موافق تماما على اعادة تكوين الحرس الوطنى . لقد كنت جاويز سريتى وكان ذلك حقا شيئا لطيفا للغاية ..

فقاطعته قائلا :

- كنت اظن انك لا تعنى هذا الخبر

- و اى خبر لديك اذن ؟ لقد كنت تقول انك تعرف الخبر

- كنت اتحدث عن خبر آخر تهتم به باريك كذلك

ولم يفهم الغيبى ، غير ان حبه للاستطلاع تيقظ ، فقال فى لهفة :

- خبر جديد ؟ وانى لك ان تعرف هذه الاخبار بحق الشيطان ؟ ما هو هذا الخبر الذى لديك اذن ياسيدى العزيز ؟ اتعرف هذا الخبر يا سيدى القسيس ؟ هل انت اكثر منى دراية بهذه الاخبار ؟ انبثونى بهذا الخبر من فضلكم . ما الذى حدث ؟ الا تفهموننى ؟ انى احب الاخبار لانى اقصها على السيد رئيس المحكمة فهذا يسليه كثيرا

واخذ المحضر يهدى بمئات من مثل هذا الهديان وهو يلتفت نحو القسيس تارة والى تارة اخرى ، فكنى لا ارد عليه الا بهزة من كتنفى ، فقال لى آخر الامر :

- حسنا ! فيم تفكر اذن ؟

- افكر فى انى لن افكر بعد هذا المساء ا



— آه! اهو كذلك؟ .. هيا! انك حزين اكثر مما ينبغي!  
لقد كان السيد كاستانج (١) يتحدث وغم محنته

وسكت الرجل لحظة ثم اضاف يقول: « لقد رافقت كذلك  
السيد « بابا فوان » (٢)، وكان يرتدى قبعته الفاخرة ويدخن  
سيجارا، اما فتیان مدينة «لاروشيل» (٣) فقد كانوا لا يتحدثون  
الا فيما بينهم ولكنهم كانوا يتحدثون على آية حال

وصمت المحضر لحظة اخرى ثم عاد يقول: انهم كانوا  
مجانين! كانوا متحمسين للغاية! وكان يبدو عليهم أنهم  
يحتقرون كل الناس. اما أنت ايها الشاب فاني اجسك  
مفكرا حقا

فقلت له:

— أنا شاب؟. إنى أكبرك فى السن؟ ان كل ريع ساعة يمر يجعلنى  
أشيخ بمقدار سنة!

والتفت «المحضر» نحوى ونظر إلى فى دهشة تنطوى على الغباء  
لبضع دقائق ثم شرع يضحك ضحكا ثقيلا وهو يقول:

— أوه! عجبا! أتريد أن تمزح؟ أنت أكبر منى سنا وقد أكون فى سن  
جدك!

---

(١) ملتب سقت الاشارة اليه فى الفصل الثانى وهو مجنون رهيب اعدم  
لانه دس السهم لصديق له كان يتولى علاجه

(٢) مجنون رهيب كان يقتل الاطفال بفضرة من سكين فى رموسهم . ورد  
ذكره فى نفس الفصل

(٣) ضباط صف اربعة اخدم يدى «بوديس» وقد اشرنا اليهم

فاجبته قائلا في جد ورزانه :

- انى لا ارغب فى المزاح

وفتح الرجل علبة طباق كانت معه وهو يقول :

- خذ هذه ياسيدى العزيز ولا تفضب . خذ مضغة من

الطباق ولا تحتفظ لى فى نفسك باية موجدة على

- لا تخش شيئا فلن يتسع الوقت امامى للفضب عليك

وفى تلك اللحظة ، ارتطبت علبة الطباق بالقضبان التى كانت

بينى وبينه فى عنف ، من جراء احد « المطبات » فسقطت

مفتوحة من يده تحت قدمى الجندى فصاح « المحضر ، قائلا :

- يا لهذه القضبان اللعينة ! -

ثم التفت الى وهو يقول : « حسنا ! الست شقيا ؟ هاندا

قد فقدت كل ما معى من طباق !

فاجبته قائلا وانا ابتسم ابتسامة شاحبة :

- انى افقد اكثر مما تفقده انت

وحاول الرجل ان يجمع طباقه وهو يتمتم قائلا من بين

اسنانه :

- اكثر مما افقد ؟ هذا كلام سهل قوله ! سوف ابقى بغير

طباق حتى نبلغ باريس ! ان هذا لشيء رهيب !

وواساه الواعظ فى تلك اللحظة ببعض كلمات العزاء . ولست

ادرى ما اذا كنت مفكرا مهموما ، ولكن بدا لى ان كلمات القسيس

كان يتابع بها الوعظ الذى كان قد وجه الى بدايته ، وريدا

رويذا سار الحديث بين القسيس و « المحضر » ، فتركتهما

يتحدثان معا وانصرفت الى خواطرى

ولا شك فى انى كنت لا ازال مستغرقا فى التفكير حينما اقتربنا تماما من ابواب باريس ، ولكن خيل الى ان ضوضاء المدينة صارت اكثر من المألوف . وتوقفت العربية لحظة امام « كشك » الجمارك حيث قام بتفتيشها موظفو جمرك البلدية واو ان العربية كانت تحمل خروفا او ثورا يساق الى المذبح لوجب ان تدفع من اجله مبلغا من المال ، غير ان الرأس البشرى لا تدفع عنه رسوم جمركية ، فمررنا

واجتازنا الضواحي ثم دخلت العربية مسرعة فى تلك الشوارع العتيقة المعقدة فى حى « سان مارسو » وحى « لاسيتى » التى تتلوى وتتقاطع كأنها آلاف الطرق فى مدينة النمل ، وكان ضجيج العربية قد اصبح فوق « بلاطها » عاليا متتابعا الى حد اننى لم اعد اسمع أى شىء آخر . وكنت كلما القيت نظرة من خلال الطاقة الصغيرة المربعة ، بدا لى ان أمواجا من المارة كانت تتوقف لتتنظر الى العربية المنكودة وان شراذم من الصبية كانت تعدو ورائها ، كما بدا لى انى كنت ارى هنا وهناك ، من حين لآخر ، عند مفارق الطرق رجلا او امرأة عجوزا فى ثياب مهلهلة - وأحيانا كليهما معا - وهما يمسكان فى أيديهما برزمة من الورق المطبوع (١) كان المارة يتخطفونه ، ويفتحان فميها

---

(١) سبقت الإشارة الى ان احكام الاعدام واوقات تنفيذها كانت تطبع على أوراق تباع الواحدة منها لقاء جزء من المليم وصفه المؤلف فى موضع سابق بأنه « صلدى » ملطخ بالدم

## كانهما يصيحان صياحا هاليا

وكانت الساعة تدق معلنة الثامنة والنصف في بناء المحكمة لحظة وصولنا الى فناء سجن « لاكونسيرجورى » . ان منظر هذا السلم الكبير ، وتلك الكنيسة الصغيرة السوداء ونوافذ « زنزانات » السجناء الكئيبة قد أرسل في بدنى برودة الثلج، وبدأ لى فى اللحظة التى وقفت العربية فيها أخيرا أن ضربات قلبى على وشك أن تتوقف كذلك

واستجمعت اطراف قواى الواهنة حينما فتح باب العربية فى مثل وميض البرق ، وقفزت خارج هذه الزنزانة المتحركة وتقدمت فى خطوات واسعة تحت قبوة السجن بين صفين من الجنود . آه ! ها هو ذا الجمهور قد تجمع سريعا فى طريقي



وكنت اشعر بانى اكاد اكون حرا وعلى سيجتى طيلة اللحظات التى اجتزت فيها دهاليز دار القضاء ، ولكن عزمى قد تخلى عنى عندما فتحوا امامى ابوابا منخفضة وممرات داخلية وسلالم سرية ، ودهاليز اخرى طويلة مخنوقة ومكتومة لا يطرقتها الا الذين يصدرون الاحكام او تصدر عليهم الاحكام

وكان « المحضر » فى رفقتى على الدوام ، اما القسيس فكان قد تركنى ليعود بعد ساعتين . ان الرجل كانت لديه مشاغله

وقادونى الى مكتب المدير حيث أسلمنى المحضر اليه « بدأ بيد » . لقد كان هناك تبادل ، اذ رجاء المدير ان ينتظر

لحظة قائلا له ان لديه صيدا سيكون معدا للتسليم على الفوركى ينقله مباشرة الى سجن « بيستر » فى نفس العربة . فقلت لنفسى ان هذا الصيد هو دون شك ذلك المحكوم عليه الذى يجب ان ينام الليلة على حزمة القش التى لم يتسع الوقت امامى<sup>١</sup> لاستهلاكها

فقال « المحضر » للمدير : « حسنا ، سوف انتظر لحظة ، وسنقوم بعمل المحضرين (١) معا ان كان هذا ييسر الامور وفى انتظار ذلك ، وضعونى فى مكتب صغير ملاصق لمكتب المدير ، حيث تركت وحدى واوصدت الابواب على فى احكام ولست أدرى فيم كنت أفكر ولا كم من الوقت مضى على هناك ، عندما طرقت اذنى ضحكة عنيفة مفاجئة أيقظتنى من حلمى . فرفعت عينى وأنا ارتجف ، فعرفت انى لم أعد وحدى فى هذه الزنزانة ، اذ كان معى رجل فى نحو الخامسة والخمسين من عمره ، متوسط القامة ، محدودب الظهر ، أشيب الرأس بعض الشيء ، ووجهه حافل بالتجاعيد . وكانت أعضاء الرجل قوية عريضة ، أما عيناه فرماديتا اللون ، بهما حور بسيط ، وتعلو شفتيه ابتسامة مرة . وكانت هيئته تبعث على الاشمئزاز ، بقذارته وثيابه المهلهلة التى لا تكاد تستر الا نصف جسمه

ويبدو أن الباب كان قد فتح ليزج بهذا الرجل الى داخل هذه الزنزانة الصغيرة ثم أغلق مرة ثانية دون أن أفطن الى ذلك .

---

(١) يعنى محضرى التسليم والتسلم

اه لو كان الموت يأتى هكذا !

وأمن كل واحد منا النظر الى وجه الآخر لعدة ثوان وهو  
يمد في ضحكته التي كانت كحشرجة المحتضر ، وأنا نهب لمزيج  
من الدهشة والذعر  
فقلت له أخيرا :

– من أنت ؟

فأجابنى الرجل قائلا :

– هذا سؤال عجيب .. أنا واحد منهم !

فأعدت عبارته متسائلا فى دهشة :

– واحد منهم ! ما معنى هذا الكلام ؟

ولاحظت أن هذا السؤال قد ضاعف مرحة

فصاح قائلا وهو يضحك فى قهقهة مدوية :

– معناه أن السكين ستلعب برأسى بعد ستة أسابيع كما

ستداعب رأسك بعد ست ساعات .. ها ! ها ! ها ! يبدو

أنك قد فهمت الآن !

والواقع أنى شعرت فى تلك اللحظة بأن الدماء تفيض من

وجهى وبأن شعرى يقف فى رأسى . لقد كان هذا الرجل هو

خليفتى فى سجن « بيستر » الذى كانوا ينتظرونه هناك ، كان

هو الرجل الذى صدر عليه اليوم حكم بالاعدام

وصمت الرجل لحظة قصيرة ثم تابع حديثه فقال :

– ماذا تزيد ! لهذا هى قصتى ، قصتى أنا ، أنتى ابن لرجل

بائس أتعب و شارلو ، (١) نفسه ذات يوم للاسف فى ربط  
الحبل حول عنقه ، وكان ذلك فى عهد المشنقة والحمد لله ، فلم  
اكذ ابلغ السادسة من عمرى حتى وجدت نفسى بلا أب ولا ام .  
وكننت فى الصيف اتمرغ فى التراب على قارعة الطريق كى  
يلقى الى بعضهم «صلدياء» من خلال ابواب العربات . اما فى  
الشتاء فكنت أسير حافى القدمين فى الوحل وانا أنفخ فى يدي  
المحمرتين من شدة البرد ، وكانت فخذاي تطلان من خلال  
سروالى

وبدأت أستعمل يدي فى سن التاسعة ، فكنت من حين لآخر  
انشل جييا او أسرق معطفا . وفى سن العاشرة كنت «نشالا» ،  
وما ان بلغت السابعة عشرة حتى صرت لصا ، فكنت أحطم  
اقفال الحوانيت وأستعمل مفاتيح مقلدة . ثم قبض على بعد ان  
بلغت سن الرشيد حسب نص القانون فأرسلونى الى الاشغال  
الشاقة للتجديف على ظهر السفن . ان الليمان شىء شاق ،  
فالمرء ينام فيه على لوح من خشب ، ويشرب ماء صرفا ، ويأكل  
خبزا أسود ، ويجر وراءه كتلة سخيفة من الحديد لا فائدة منها ،  
ويتلقى ما تيسر من ضربات العصي وضربات الشمس . والى  
جانب هذا فانهم يقصون له شعره ، وأنا الذى كان لى شعر  
كستنائى جميل ! وعلى كل حال ، فهذا لا يهم !

وقضيت مدة العقوبة : خمسة عشر عاما أنتزعت من عمرى

---

(١) لفظة من اللفظات المستعملة فى لغة السجن ويقصد بها الجلاد ( كما  
يقال «ندنا» «شملوى» )

انتزاعا ! وكنت فى الثانية والثلاثين عندما اعطونى ذات صباح امرا بالافراج عنى من الليمان ، مع سبعين فرنكا جمعتها لى نفسى خلال خمسة عشر عاما من الاشغال الشاقة ، كنت اعمل خلالها ست عشرة ساعة فى اليوم ، وثلاثين يوما فى الشهر ، واثنى عشر شهرا فى السنة . وكان هذا سنوا لى ، فقد كنت ارى بهذه السبعين فرنكا ان اصبح رجلا شريفا ، وكنت انطوى تحت اسمالى البالية على مشاعر اكثر مما يوجد منها تحت ملابس قسيس ، ولكن . . . فلتبارك الشياطين فى صحيفة السوابق ! لقد كانت وثيقة الافراج عبارة عن ورقة صفراء مكتوب عليها : « . . . افرج عنه من الليمان » ، وكان لزاما على ان ابرز هذه الورقة حيثما ذهبت ، وان اقدمها كل ثمانية ايام الى عمدة القرية التى كانوا يرغمونى على الإقامة فيها . يالها من تزكية جميلة (١) ! لقد كان الناس يخافون منى ، وكان الصبيان يفرون عندما يروننى ، وكانت الابواب توصل فى وجهى اذا مررت ! ولم يشأ احد ان يعطينى عملا ، فانفقت السبعين فرنكا على طعامى ، ثم كان على ان اعيش ، فأبدت ساعدى المفتولين هنا وهناك ، ساعدى اللذين يصلحان تماما للعمل ، ومع ذلك فقد اقلت فى وجهى كل الابواب . وعرضت ان اعمل اليوم باكملة لقاء خمسة عشر مليما ، ثم بعشرة مليمات ،

---

(١) يقصد التزكية السجلة فى وثيقة الافراج عنه اذ جاء بها : « افرج عنه من الليمان حيث كان محكوما عليه بالاشغال الشاقة بالتجديف فوق ظهر المراكب . . . »



وأخيرا بخمسة ا ولكن دون جدوى ، فماذا أفعل ؟

وشعرت ذات يوم بجوع شديد ، فكسرت بمرفقى زجاجا فى واجهة حانوت خباز وخطفت رغيفا ، واستطاع الحباز أن يمسك بتلابيبي ، فلم أتمكن من أكل الرغيف ، وحكم على بالاشغال الشاقة بمدى الحياة فى التجديف على المراكب ، وختموا كتفى بثلاثة أخرف من نار ، وسوف أريك هذا ان اردت • انهم يسمون هذا النوع من العدالة : « عائدا الى الاجرام ! »

هأنذا قد عدت الى الليمان ، وقد ألقوا بى فى هذه المرة فى ليمان « طولون » ، ووضعونى مع المجرمين العائدين الى الاجرام • وكان لزاما على أن أهرب ، ولتحقيق ذلك لم يكن أمامى الا أن أنقب ثلاثة جدران ، وأن أقطع سلسلتين ، وكان معى مسمار فى هذه المرة

واستطعت أن أهرب ذات يوم فأطلقت مدافع الانذار • ذلك أننا معشر العائدين مثل كرادلة روما ، ملبسنا حمراء ، وتطلق لنا المدافع عند الرحيل • لقد اطلقوا مدافعهم جزافا وبلا نتيجة • وكنت فى هذه المرة حرا بلا ورقة صفراء ، ولكن لم تكن لدى نقود كذلك

وقابلت رفاقا كانوا قد قضوا مدة العقوبة أو فروا من السجن ، فعرض على رئيسهم أن أكون واحدا منهم ، وكانوا قطاع طرق يفتالون الناس • فوافقت وأخذت أقتل لاعيش ، وكنا تارة نهاجم عربة نقل الركاب أو البريد ، واخرى نهاجم مسافرا يسير بمفرده ، وثالثة نهاجم زاهرا يهربان محتطى جوادا،

فكنا نسلب النقود ونترك الدابة او العربة تهيم كيفما اتفق،  
اما الرجل فكنا ندفنه تحت شجرة ، ونحرص على ألا تبرز قدما،  
ثم نرقص بعد ذلك فوق الحفرة التى دفناه فيها ، حتى لا تبدو  
الارض كأنها نبشت حديثا

وهكذا شخت وأنا مختبئ، فى الاحراش ، انام وأنا التحف  
السماء واطارد من غابة الى غابة ، غير انى كنت حرا وملكا  
لنفسى على الاقل . إن لكل شىء نهاية ، وهى نهاية لا تختلف  
عن سواها

واطبق علينا البوليس ذات ليلة ، فهرب زملائى ، ولكننى  
وقعت - وأنا أكبرهم سنا - فى مخالاب هذه القطط التى ترتدى  
قبعات موشاة بالاشرطة ، فساقونى الى هنا !

وكنت قد تدرجت فى كل درجات السجون عدا هذه الدرجة،  
فسواء سرقت منديلا أو قتلت نفسا ، فان الامر يستوى من  
الآن فصاعدا بالنسبة الى ، فقد كانت هناك العودة الثالثة الى  
الاجرام ، التى طبقت عقوبتها على فى هذه المرة ، ولم يعد امامى  
الا ان امر بالمقصلة !

لم تستغرق قضيتى وقتا طويلا ، اذ انى بدأت اشىخ حقا  
ولم أعد اصلح لاي شىء ! ان والدى قد مات شنقا وأنا سوف  
اموت بالمقصلة . تلك هى قصتى ايها الزميل ! «

وكنت قد مكثت طول الوقت مشدوها وأنا اصفى اليه ، ثم  
عاد الرجل الى الضحك بصوت أعلى مما كان يفعل فى البداية ،  
وهم بأن يصفحنى فتراجعت ملعورا الى الوراء !

فقال الرجل عندئذ :

- يبدو عليك أنك شجاع أيها الصديق ، فلا تكن  
جباناً أمام الموت . أتفهمنى ؟ انها لحظة سيئة ستقضيتها فى  
ساحة الاعدام ، ولكنها ستنتهى بسرعة ! لشد ما أريد أن اكون  
هناك لإريك كيف يسقط الجسد ! لست أرغب بحق السماء  
فى استئناف الحكم أن أرادوا أن يعدمونى معك اليوم . ان نفس  
القييس سيتولى امرنا معاً ، ولا يهمنى أن احصل على  
مخلفاتك . هانتذا ترى اننى ولد طيب ، اليس كذلك ؟ قل  
لى اذن ، الا ترغب فى صداقتى ؟

وخطا الى الامام خطوة ليقرب منى ، فقلت له وانا ادفعه  
بعيدا :

- شكرا لك ياسيدى

وما ان سمع الرجل اجابتنى هذه ، حتى انفجر ضاحكا من  
جديد ثم قال :

- سيدى .. آه ! آه ! انك ماركيز ! انك ماركيز !

فقاطعته قائلاً :

- يا صديقى ! انى بحاجة الى ان اخلو الى نفسى ، فدعنى  
وشأنى

ودفعته جدية كلامى الى التفكير فجأة ، فهز رأسه الرمادى  
الذى يكاد يكون اصلع ، ثم حك بأظافره فى صدره ذى الشعر  
الكث الذى كان يبدو من خلال قميصه المفتوح وتمتم قائلاً من  
بين أسنانه :

- لقد فهمت . انك تفكر في القسيس !

وبعد بضع دقائق من الصمت استطرد يقول ، وقد شاعت في نبرات صوته رنة خجل :

- انت ماركيز وهذا حسن جدا ، ولكن لديك هنا « ردنجوتا » جميلا لن ينفعك في شيء ! وسوف ياخذه السجن منك ، فأعطني اياه فسوف ابيعه لاحصل على طباق

فخلعت « الردنجوت » الذي كنت ارتديه ، واعطيته اياه ، فاخذ يصفق بيديه في مرح ، كأنه طفل صغير ، ولكنه حين رأى انى كنت ارتعد في قميصى قال لى : « انك ترتجف ياسيدى من البرد ، خذ هذه والبسها فالمطر يتساقط وسوف تبتل ، ثم انه يلزمك ان تكون اكثر وقارا وانت فوق العربة » قال هذا وهو يخلع سترته الخشنة المصنوعة من الصوف الرمادى ، ثم وضعها على كتفى وادخل ذراعى في كمياها ، فتركته يفعل ذلك دون اعتراض او مقاومة

وذهبت عندئذ لاتكىء على الجدار ، ولن استطيع ان اصور الاثر الذى تركه هذا الرجل في نفسى ، وكان قد اخذ يفحص « الردنجوت » الذى اعطيته اياه ، وتصدر عنه من لحظة الى اخرى صيحات تدل على السرور ، ثم اضاف يقول : « ان جيوبه جديدة تماما ! والياقة ليست بالية ! سوف احصل فى مقابله على خمسة عشر فرنكا على الاقل .. يا للسعادة ! سيكون لدى طباق طيلة الاسابيع الستة الباقية لى على قيد الحياة ! »

وفتح الباب مرة أخرى . لقد جاءوا لآخذنا نحن الاثنين :انا الى الفرفة التى ينتظر فيها المحكوم عليهم بالاعدام ساعة التنفيذ ، وهو الى سجن « بيستر » . ووقف الرجل بين الجنود الذين كان عليهم ان يرافقوه ، وهو يقول لهم : « آه ! يا هؤلاء .. لا تخلطوا بيننا ، فقد تبادلنا ملابسنا انا وهذا السيد . لا تأخذونى بدلا منه ، بالشيطان ! ان هذا لم يعد يروق لى الآن وقد اصبح معى ما استطيع به ان احصل على الطباق ! »



لقد اخذ منى هذا اللص العجوز « الردنجات » لاننى لم اهبه اليه فى الحقيقة ، ثم انه ترك لى سترته الكئيبة ، هذه الخرقة البالية ، فكيف ستكون هيئتى اذن ؟

اننى لم اتركه ياخذ منى « الردنجات » عن عدم اكتراث او بداعى العطف عليه ، كلا ، ولكن لانه كان اكثر منى قوة ، ولو انى رفضت ماطلب لضربنى بقبضة يده الضخمة  
آه ! حسنا ! نعم ، انه الاحسان ! لقد كنت ساعتها ابيض بالمشاعر السيئة ، وكنت اتوق لان اخنق هذا اللص العجوز بيدي ، او ان اسحقه سحقا تحت قدمى !

انى لاشعر بقلبى يطفح بالغضب والمرارة ، واحسب ان مرارتى قد انفجرت ! حقا ان الموت يجعل الانسان شريرا غليظ القلب

وقادونى الى زنزانة ليس فيها الا جدران اربعة ، بنافذتها قضبان كثيرة من حديد وببابها عدد كبير من المزاليج والاقفال

وهذا أمر طبيعي

فطلبت منضدة ومقعدا وادوات للكتابة ، فاحضروا لى  
ماطلبت . ثم طلبت فراشا فحدجنى السجنان بنظرة تطل منها  
الدهشة وكأنه يقول : « وماجدوى ذلك ؟ »

ومع ذلك ، فقد نصبوا لى سريرا حقيرا فى ركن الزنزانة ،  
ولكن جاء فى نفس الوقت حارس ليجلس معى فيما كانوا  
يسمونه « غرفتى » ! ترى هل يخافون ان اخنق نفسى  
بالفراش ؟



الساعة الآن العاشرة

آه يا ابنتى المسكين ! سوف أموت بعد ست ساعات! وسوف  
أكون شيئا قدرا يلقي به على مناخذ مدرجات كلية الطب !  
وسوف يشرح الرأس فى جهة والجلد فى جهة اخرى ، ثم يلقي  
بما تبقى منى فى صندوق بمقبرة « كلامار »

هذا هو يا ابنتى ما سيفعله بأبيك هؤلاء الرجال الذين  
لايكرهنى أحد منهم ، والذين يرثون الحالى جميعا ، والذين  
يستطيعون جميعا انقاذى . انهم سيقتلوننى فى الحال ، فهل  
تفهمين هذا يا « مارى » ؟ سيقتلوننى بكل برود ، وفى حفل  
رسمى لمصلحة المجتمع ! آه ! يا الهى العظيم !

مسكين انت يا صغيرتى ! ان والدك الذى كان يحبك حبا  
لا مزيد عليه ، والدك الذى كان يقبل رقبتك الصغيرة المعطرة ،  
ولا تكف يده عن مداعبة خصلات شعرك الحريرى ، والذى كان

ياخذ وجهك الجميل المستدير في يده ، وكان يطيب له أن تقفزي  
على ركبتيه ، والذي كان يجعلك في المساء تضمين يديك  
لتصلى لله !

من ذا الذي سيفعل لك كل هذا يا «مارى» بعد الآن ؟ من  
ذا الذي سيحبك ؟ ان كافة الاطفال في سنك سيكون لهم آباء  
الا انت يا مارى . كيف تفقدين يا ابنتى عيد راس السنة ،  
والهدايا واللعب الجميلة ، والحلوى والقبلات ؟ كيف تفقدين  
ابتها اليتيمة البائسة عادة الاكل والشرب ؟

آه لو كان هؤلاء المحلفون قد راوها على الاقل ، ابنتى  
« مارى » هذه الصغيرة الجميلة ! اذن لفهموا انه يجب الا يقتل  
اب لطفلة عمرها ثلاثة اعوام !

وعندما تكبر ابنتى ، اذا قدر لها ان تكبر ، فماذا عسى ان  
يكون مصيرها ؟ ان اباه سيصبح ذكرى من ذكريات اهل  
باريس ! لسوف تحمر خجلا منى ومن اسمى ! انها ستكون  
محتقرة ، ينأى عنها الناس بجنوبهم ، وحقيرة وضيعة بسببى  
انا ، انا الذى احبها بكل مافى قلبى من حنان . آه يا « مارى »  
يا طفلتى الصغيرة المحبوبة ! احقا انك ستخجلين منى وتشعرين  
نحوى بالاشمئزاز ؟

انا . . . يالى من بائس ! ويا للجريمة التى اقترفتها،ويا للجريمة  
التي اتسبب فى ان يقترفها المجتمع !

آه ! اصحيح حقا اننى سلمت قبل نهاية هذا اليوم ؟ احقا  
اننى انا هذا الرجل ؟ هذا الصوت المكتوم الصادر عن الصباح

الذى اسمه فى الخارج ، وهذا السيل المرح من الجماهير التى  
تسرع على ارضفة نهر « السين » ، وهؤلاء الجنود الذين  
يستعدون فى ثكناتهم ، وهذا القسيس بثيابه السوداء ، وهذا  
الرجل الآخر ذو اليدين الحمراء ، هؤلاء جميعا هل هم من  
اجلى ؟ من اجلى انا الذى ساموت ! انا نفسى الذى استقر هنا  
حيا واتحرك واتنفس ، واجلس امام هذه المنضدة التى تشبه  
اية منضدة اخرى ، ويمكن ان تكون كذلك فى اى مكان آخر !  
انا كذلك ، هذا الشخص الذى المسه واشعر به ، والذى ثيابه  
هذه طياتها !؟



آه لو كنت اعلم كذلك كيف صنعت هذه المنضدة وكيف  
صنع هذا المقعد ، وباية طريقة يموت المرء بهما ! لكن هذا  
شئ رهيب ، انى لا اعرفه . ان اسم هذا الشئ يثير الرعب  
فى النفوس ولست افهم على الاطلاق كيف استطعت ان اكتب  
هذه الكلمة وان انطق بها

ان تجمع الحروف التى تكون هذه الكلمة ومظهرها وشكلها  
قد خلقت جميعا لتوقظ فكرة مرعبة ، وان الطبيب المنحوس  
الذى اخترع هذا الشئ كان اسمه مسطورا فى لوحة القدر !  
انها صورة غير واضحة وكثيبة للغاية تلك التى ترتبط عندى  
مع هذه الكلمة المشؤمة ، وكل حرف من حروفها يبدو لى .  
كانه جزء من تلك الآلة الرهيبة التى اظلم اهدم وابنى اجزاءها  
الجهنمية فى نفسى دون انقطاع



اننى لا اجرؤ على السؤال عنها ، غير ان من المرعب الا اعرف  
ماهى ، ولاكيف اتصرف وانا واقف عليها ، ويبدو لى ان بها  
مايشبه الارجوحة ، وانهم يجعلون المحكوم عليه ينام على بطنه .  
آه ! ان شعرى سوف يبيض لامحالة قبل ان يسقط راسى !

ومع ذلك فقد لمحتها ذات مرة

كنت ذات يوم امر فى عربة الى جوار ساحة الاعدام ، وكان  
ذلك فى نحو الساعة الحادية عشرة صباحا . وفجأة توقفت  
العربة عن المسير

وكان هناك جمهور غفير يحيط بالساحة ، واخرجت راسى  
من نافذة العربة فرأيت جموعا حاشدة تملأ المكان وتزحف على  
ارصفة نهر « السين » ، وكان الرجال والنساء والاطفال يقفون  
فوق سور النهر الحجري ، ومن فوق الرءوس كان فى وسع  
المرء ان يرى منصة حمراء من الخشب كان يعدها ثلاثة  
رجال ..

كان ثمة شخص محكوم عليه بالاعدام سوف ينفذ فيه الحكم  
فى نفس اليوم الذى كانوا يعدون فيه الآلة .

واشحت بوجهى قبل ان ارى ، وفى تلك اللحظة سمعت  
امراة كانت تقف الى جوار العربة تقول لصبى : « عجبا !  
انظر ! ان السكين لا تجيد القطع وسوف « يشحمون » المجرى  
حالا بقطعة من الشمع »

ومن المحتمل اليوم انهم يفعلون ذلك الآن ، فقد دقت  
الساعة الحادية عشرة منذ لحظة ، ولاشك فى انهم « يشحمون »

المجرى الآن

آه ! فى هذه المرة أباها الشمس لن تستطيع أن تشبىح  
بوجهك !  
آه ! العفو العفو !

قد يصدر عنى العفو ، فالملك ليس غاضبا على . فليذهبوا  
اذن لاحتضار محام . الى بالمحامى ، وبسرعة ! انى اقبل  
الاشغال الشاقة عن طيب خاطر ، والتجديف على السفن ،  
اقبل الاشغال الشاقة لمدة خمس سنوات او عشرين سنة ،  
بل مدى الحياة ، واقبل معها كى كتنفى بالحديد الاحمر المحمى  
فى النار كما يشاءون . . . ولكن ، ليعتقوا رقبتى فحسب !  
ان المحكوم عليه بالاشغال الشاقة لا يزال يمشى ، ويروح  
ويغدو . انه يرى الشمس !



## هذا القسيس

وجاء القسيس الواعظ

كان أبيض الشعر ، لطيف الشكل للغاية ، تبدو على ملامح وجهه علامات الطيبة والاحترام . كان في الواقع رجلاً ممتازاً كريماً ، فقد راينته في هذا الصباح يفرغ ما في جيبه في أيدي السجناء ، فلماذا لا يوجد في صوته ما يؤثر أو يدل على التأثير ؟ كيف يتفق أنه لم يقل لي بعد شيئاً يؤثر في تفكيري أو يمس قلبي ؟

لقد كنت تائها في هذا الصباح حتى أنني لم أكد أسمع ما قاله لي ، ومع ذلك فقد بدت لي كلماته عديمة النفع ، وبقيت غير متأثر بها . أنها كانت تنزلق من فمه كما ينزلق هذا المطر البارد على هذا الزجاج المثلج

ومع ذلك فقد أراحتني مرأى الرجل بمجرد أن عاد إلى جوارى ، فهو الذي لا يزال بالنسبة إلى الإنسان الوحيد بين هؤلاء الرجال . لقد قلت هذا في نفسي وقد شعرت بظماً شديداً إلى سماع أية كلمة طيبة مواسية

وكنا جالسين ، هو على المقعد ، وأنا على السرير ، فقال لي :  
- يا بني ..

وأحسست في تلك اللحظة بأن كلمته هذه قد فتحت قلبي

المفلق ، واستمر القسيس في حديثه قائلا : « أتؤمن بالله يا بني ؟ »

– نعم يا ابي

– وهل تؤمن بالكنيسة الكاثوليكية البابوية الرومانية ؟

– نعم في كثير من السرور

وهنا استطرد الرجل يقول :

– يبدو عليك انك متشكك يا بني

ثم اخذ يتكلم فأطال الحديث ، وقال كلاما كثيرا . ولما ظن اخيرا انه قد انتهى من حديثه ، نهض ونظر الى لأول مرة منذ شرع يتكلم ثم سألني قائلا :

– حسنا ؟

فاكدت له اني قد استمعت اليه ، في شغف اولا ، ثم في انتباه

ثانيا ، ثم في اخلاص ثالثا

ثم نهضت بدوري وانا اجيبه قائلا :

– سيدى . . أرجوك أن تدعنى وحدى

– ومتى اعود ؟

– سوف اخبرك في الوقت المناسب

فخرج الرجل عندئذ دون أن يبدو عليه اى اثر للغضب ، غير انه كان يهز رأسه كما لو كان يقول في نفسه : « انه غير مؤمن ! »

كلا . . فمهما انحدرت الى أسفل الدرك فأنا لست كذلك ،

والله شهيد على انى تؤمن به . ولكن ماذا قال لى هذا الشيخ ؟

انه لم يقل شيئا احسن به ، او المس حنانه على او يبكينى .

انه لم ينتزع من روحى شيئا ولم يخرج من قلبه شيء يصل الى قلبى ، شيء يصدر من القلب الى القلب ، بل على العكس ، لقد حدثنى عن اشياء اراها غامضة سطحية من الممكن ان تنطبق على كل شيء وعلى كل انسان ، عن اشياء هى ادنى الى البلاغة منها الى التعمق ، وسطحية فى حين ان الحاجة كانت ماسة الى البساطة . كان حديثه ضربا من الوعظ الوجدانى والتمجيد الدينى ، تتخلله من آن لآخر عبارة لاتينية ، او نص للقديس « اوجستان » او للقديس « جريجوار » لست ادرى ايهما ! ثم انه كان يبدو عليه انه يعيد تلاوة درس قد تلاه من قبل عشرين مرة ، او انه يراجع موضوعا يستخلصه من ذاكرته لكثرة معرفته به ، فلا تعبير فى نظرة عينيه ، ولا حرارة فى نبرات صوته ، ولا حركة معبرة من يديه

وكيف يمكن ان يكون الامر على خلاف ذلك ؟ او ليس هذا القسيس هو الواعظ الرسمى للسجن ؟ ان عمله ينحصر فى ان يواسى ويعظ ، وهو يعيش من عمله هذا . ان السجناء المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة ، ومرضى السجن ، هم الذين يتبعونه ، وهو الذى يجعلهم يعترفون ، وهو الذى يساعدهم ، لأن هذه هى وظيفته التى يؤديها . لقد هرم هذا الرجل وهو يرافق الآخرين الى الموت والى الف منذ زمن بعيد ماتقشعر له الابدان ان شعره الابيض لم يعد يقف فوق راسه ، فالليمان والمشنقة شيئان يراهما فى كل يوم حتى أصبح لا يتأثر كثيرا لمراهما وقد تكون لديه كراسة يخصص صفحة منها للمحكوم عليهم

بالاشغال الشاقة ، واخرى للمحكوم عليهم بالاعدام . انهم  
يخطرونه فى الليلة السابقة با انه سيكون لديه شخص ليواسيه فى  
وقت كذا ، فيسالهم من اى نوع هو : الاشغال شاقة ام  
« اعدام » ؟ . ثم يراجع الرجل صفحته ويحضر درسه ،  
وهكذا يحدث ان هؤلاء الذين يذهبون الى ليمان « طولون »  
واولئك الذين يذهبون الى ساحة الاعدام ، يصبحون جميعا  
لديه افكارا مطروقة ، كما يصبح هو عندهم فكرة مطروقة  
كذلك

آه ! فليذهبوا اذن وليحضروا لى بدلا من ذلك واعظا شابا  
او قسيسا شيخا كيفما اتفق من اول « أبرشية » تصادفهم ،  
وليبتزءوه من جلسته وهو الى جوار ناره يقرأ كتابه وليقولوا  
له : « هناك رجل سيموت حالا ، ويجب ان تكون انت من  
تواسيه ، يجب ان تكون الى جانبه حين يوثقون يديه ، وحين  
يقصون شعره وان تتركب معه فى العربة ومعك صليبك كى  
تحجب عنه منظر الجلاد ، وان تشاطره وعورة الطريق حتى  
يلغ ساحة الاعدام ، وان تجتاز معه هذا الجمع الفقير المروع  
شارب الدماء ، وان تقبله وهو يرقى الى المقصلة ، وان تظل  
واقفا هناك حتى يفصل راسه عن جسده ، ويصبح راسه  
هنا وجسده هناك

فليحضروا الى اذن هذا القسيس وهو يرتجف ، وجسده  
بأسره يرتعد من قمة راسه الى اخمص قدمه ، وليلقوا بى بين  
ذراعيه وعلى ركبتيه . لسوف يبكى عندئذ ولسوف ابكى

معه ، سوف يكون فصيحاً بليغاً ، فاشعر بالمواساة وأسكب  
مافي قلبي في قلبه ، وسوف يملك على زمام نفسي وتنتقل الى  
قوة ايمانه

ولكن . . من هو هذا الشيخ الطيب ، اين هو منى واين انا  
منه ؟ لهنى انسان شقى ، وظل من الظلال التي طالما راي كثيرا  
منها ، وواحد آخر يضيفه الى عدد اولئك الذين نفذ فيهم  
حكم الاعدام !

وقد اكون مخطئاً بابعاده عنى على هذا النحو ، فهو الرجل  
الصانع وانا الرجل الطالح ، ولكن الذنب ليس ذنبي للأسف !  
وانما مرد ذلك لأرائي كانسان محكوم عليه بالموت ، فالآراء  
كثيراً ما تفسد كل شيء وتجعله يذبل !

لقد احضروا الى طعاماً منذ لحظة . لقد حسبوا اننى لا بد  
ان اكون في حاجة اليه . هاهى ذى مائدة رقيقة شهية ، عليها  
دجاجة فيما يبدو ، والوان اخرى كذلك . . حسناً ! لقد  
حاولت أن آكل ، ولكن الطعام سقط من فمي عند أول لقمة  
تناولتها ، وقد بدا لي كريها مر المذاق !

حضر منذ لحظة رجل قبعتة فوق رأسه (١) ، فألقى على  
نظرة عابرة ، ثم نصب سلماً من الخشب وأخذ يقيس أحجار  
الجدار من أسفل الى أعلى ، وهو يتكلم بصوت مرتفع للغاية ،

---

(١) تقضى التقاليد الغربية بان يرفع المرء القبعة عن رأسه عندما يدخل  
على قوم او يعين شخصاً ما

ليقول تارة : « انه لذلك » وليصبح تارة اخرى : « كلا ،  
ليس كذلك »

وسألت الحارس عن يكون هذا الرجل ، فقال لي انه يبدو  
انه يعمل كمساعد مهندس في السجن

ومن ناحية اخرى ، فقد ثار حب الاستطلاع في نفس هذا  
الموظف من ناحيتي ، فقد تبادل كلمات ، كلها تلميح مع حامل  
مفاتيح السجن الذي كان في رفقة ، ثم انعم النظر في لحظة ،  
وهو يهز رأسه في غير مبالاة ، واستأنف حديثه وهو يتابع  
قياس أبعاد الجدار بنفس اللهجة المرتفعة التي كان يتكلم بها  
من قبل

وما ان فرغ الرجل من عمله حتى اقترب مني وهو يقول  
في صوت جهورى : « يا صديقى العزيز .. سوف يكون هذا  
السجن بعد ستة اشهر أفضل من هذا بكثير »

وكانت الحركة التي أتى بها وهو يقول ذلك كأنها تقول :  
« ولكنك للأسف لن تستمتع بهذا التحسين ! »

كان الرجل يبتسم تقريبا ، فخيّل الى وقتئذ أنني كنت أرى  
اللحظة التي كان يوشك فيها ان يسخر مني برفق كما يمزح  
الناس مع عروس شابة في ليلة الزفاف

وقد تكفل الجندي الذي كان في حراستي بالرد عليه ، وكان  
حارسا عجوزا قد ابيض شعر رأسه وهو في حراسة السجناء ،  
فقال له : « سيدى لا يرفع المرء صوته هكذا في حجرة ميت ! »  
ورحل المهندس ، أما أنا فبقيت هناك كحجر من الاحجار



التي كان يقيس ابعادها !

وحدث لي بعد ذلك شيء يبعث على السخرية ، فقد جاءوا ليغيروا حارسي العجوز ، وانا اناني وغير معترف بالجميل ، فلم اصافحه حتى بلمسة يد ، وحل مكانه آخر وكان رجلا ذابل الجبين ، تشبه عيناه عين البقر ووجهه جامد لاتعبر فيه

ولم اكن من ناحيتي قد اعرت ذلك اي انتباه ، فقد كنت جالسا الى المنضدة وظهرى الى الباب ، وانا احاول ان ارطب بيدي جبیني الملتهب ، وكانت خواطري تثور في نفسي

واحسست فجأة بضربة خفيفة على كتفي أدت لها راسي .  
كان هذا جندي الحراسة الجديد الذي كنت معه وحدي

وهذه - تقريبا - هي الطريقة التي وجه بها الحديث الى :

قال لي الرجل :

- هل انت طيب القلب ايها المجرم ؟

- كلا !

وبدا لي ان سرعة اجابتي قد صدمته ، ومع ذلك فقد عاود حديثه قائلا في تردد :

- ان المرء لا يكون مؤذيا لمجرد الرغبة في الايداء

- ولم لا ؟ اذا لم يكن لديك سوى هذا الكلام فاتركني

وشانئ . ما الذي ترمى اليه ؟

- عفوا ايها المجرم ، لدى كلمتان ، كلمتان فحسب ، اريد

ان اقولهما لك : اذا كنت تستطيع ان تسعد رجلا مسكينا دون

ان يكلفك ذلك شيئا فهل تفعل ؟

فاجبته قائلا وانا اهرز كفى :

- هل انت قادم يا هذا من مستشفى المجانين ؟ انك تختار  
اناء غريبا لتستخرج منه السعادة ! انا ؟ .. انا اسعد شخصا ؟  
فخفض الجندي من صوته وبدأ عليه كأنه يخفى فى نفسه سرا-  
وان كان ذلك لا يتفق مع وجهه الذى ينطق بالغباء - وهو  
يقول لى :

- نعم ايها المجرم .. نعم ، السعادة ، والثروة ! ان هذا  
كله سوف ياتينى منك . هذا هو مافى الامر . انا جندى  
مسكين ، والخدمة ثقيلة ، واجسرى ضئيل ، ولى جواد  
يخربنى ! غير اننى اقامر فى أوراق « اليانصيب » كى اوازن  
حياتى . ان المرء تلزمه صناعة ، ولا ينقصنى حتى الآن كى  
اربح فى « اليانصيب » ، الا ان احصل على الارقام الجيدة ، وانا  
دائب البحث عنها فى كل مكان . انى ابحت عن ارقام مضمونة  
ولكنى اقع دائما على ارقام تجاورها ، اقامر على الرقم ٧٦ مثلا  
فيكسب الرقم ٧٧ ، ومهما اصطنعت من فراسة فانى لا اهتدى  
الى الرقم الرابع ٠٠ اصبر قليلا من فضلك فقد اوشكت على  
الانتهاء - ولكن هذه فرصة طيبة بالنسبة الى ، اذ يبدو لى -  
عفوا ايها المجرم - أنك ستعدم اليوم ، ومن المؤكد ان الاموات  
الذين تزهق ارواحهم على هذا النحو يرون ارقام «اليانصيب»  
الرابعة مقدما . عدنى ان تعود مساء غد - ولن يضريك هذا  
فى شىء - لتعطينى ثلاثة ارقام ، ثلاثة ارقام رابحة اليس كذلك؟  
انى لا اخاف الاشباح فكن مطمئنا ، واليك عنوانى : « ثكنات

بوباتكور ، سلم رقم ١ ، عنبر رقم ٢٦ في نهاية الدهليز «  
وسوف تتعرف على في غير عناء اليس كذلك ؟ ويمكنك أن  
تحضر حتى في هذا المساء ان كان هذا يروق لك

وكنت شديد الرغبة في احتقار هذا الاحمق بعدم الرد عليه،  
لولا ان ثار في نفسي امل جنوني ، ففي مثل الحالة اليائسة التي  
كنت فيها ، يعتقد المرء احيانا ان في وسعه ان يحطم سلسلة  
حديدية بشعرة

فقلت له وانا امثل بقدر مايستطيع ان يمثل انسان يوشك  
ان يموت :

- اصغ الى . . اننى استطيع حقا ان اجعلك اغنى من الملك،  
ان اجعلك تربع الملايين ، ولكن بشرط

افتح للرجل عينين يطل منهما الفباء وهو يقول :

- ماهو ؟ ماهو ؟ سوف افعل كل شيء لارضائك ايها  
المجرم !

- اعدك باربعة ارقام لا بثلاثة . . استبدل ملابسك بملابسى

فصاح الحارس وهو يفك الازرار الاولى في زيه العسكرى :

- لو كان الامر مقصورا على ذلك !

وكنت قد نهضت من مقعدى وانا ارقب كل حركة من حركاته  
وقلبى ينتفض في صدرى ، وكنت اتخيل الابواب وهى تفتح  
امام زيبى كحارس من حراس السجن ، واتخيل الميدان ،  
والشارع ، ثم دار القضاء من وراء ظهري !

ولكن الرجل التفت الى وهو يقول في تردد : « آه يا هذا !

لاشك فى انك لا تقصد بهذا طبعا الا ان تخرج من هنا ؟  
فأدركت عندئذ ان كل شىء قد ضاع ، وبذلت مع ذلك جهدا  
اخيرا لا طائل تحته ، جهدا غير منطقى على الاطلاق !  
فقلت له :

– اننى اقصد هذا حقا ، ولكن ثراءك مضمون ...  
فقاطعنى الجندى قائلا :

– آه ! حسنا ! كلا ، كلا . . . عجباً ! فلكى تبيع ارقامى يجب  
ان تكون أنت ميتا !  
فجلست ثانية فى صمت وقد تملكنى ياس لم اشعر بمثله  
قط من قبل !



## أيام صباى

أغمضت عيني ، ووضعت يدي فوقهما ، محاولا أن انسى  
الحاضر فى الماضى ، وبينما أنا أحلم ، عادت الى ذكريات طفولتى  
وشبابى ، واحدة اثر اخرى ، عادت هادئة وخطوة ضاحكة  
كانها جزر من الزهر على حافة هذه الهوة السحيقة من الافكار  
السوداء الغامضة التى كانت تغلى فى راسى

هأنذا ارى نفسى مرة اخرى طفلا وتلميذا ضاحكا نضرا ،  
العب واجرى واصيح مع اخوتى فى هذا الممر الكبير الاخضر  
بتلك الحديقة غير المنسقة ، حيث انقضت سنوات حياتى  
الاولى ، والتى كانت فى الاصل حديقة للراهبات ، تطل عليها  
تلك القبة الرمادية الضخمة ، قبة كنيسة « لوفال دوجراس »

وهأنذا هناك ايضا بعد ذلك بأربع سنوات وكنت فتى يافعا عطفوا  
على الدوام . وكانت هناك فتاة شابة فى الحديقة المنعزلة .  
كانت اسبانية صغيرة تدعى «بيبا» (١) ذات عينين كبيرتين ،  
وشعر اسود طويل ، وبشرة سمراء ذهبية ، وشفقتين قرمزيتين  
وخدين ورديين . وكانت هذه الاندلسية الجميلة لا تتجاوز  
الاربعة عشر ربيعا

---

(١) Pepa (اسم التديلل) ، واسمها الاصلى كماورد فى نفس الصفحة Pepita

وكانت أمانا قد قالتنا لنا أن نذهب لنجربى معا : فجبنا  
للنزءه . لقا قىل لنا ان نلعب وهانحن اولاء نبادل الءبء ،  
ونحن من سن واءءة ، ولكننا لسنا من جنس واءء (١)

ومع ذلك فاا كنا ، منذ عام واءء مضى فحسب ، نلعب  
وننصارع معا ، وكنت اءشاجر مع « بىبا » على اءمل ففاحة  
فى شجرة الففاح ، وكنت اضربها من اءل عس العصافىر . انها  
كانت تبكى فكنت اقول لها : « حسنا فعلت ! » وكنا نذهب  
لنشكو معا الى امىنا اللتى كاننا تقولان بصوت مرافع اننا كنا  
مخطئين ، ثم تقولان فى صوت خفىض انا كنا على حق

هاهى ذى الان تكىء على ذراعى وقا ءمرنى الفخر وتملكنى  
الانفعال . اننا نسىر الهوىنى ، ونءءء بصوت خافت . هاهى  
ذى نترك منءلها يسقط فالتقطه لها . ان اىءنا نرءس عنءما  
نءلامس . وهى نءءء الى عن الطىور الصفىرة ، وعن النجم  
الذى نراه هناك ، وعن ءروب الشمس المءمرة من وراء الشجر ،  
او عن صءىقاتها فى مءرسة الراهبات ، او عن ثوبها وشراىطها  
المءرىرة . اننا كنا نءكم فى امور برىئة ولكننا كنا نءمر منها  
خبلا . . ان الفءاة الصفىرة قا اصبءت شابة يافعة

وفى ذاك المساء بالذاء – وكان مساء لىلة من لىالى الصىف  
– كنا جالسىن نءء اشجار الكسءناء فى نهاءة الءءىقة ، وبعء  
اءءى فءراء الصمء الطوىلة التى كانت نءخلل نزهاءنا ، قالت  
لى « بىبا » : « هىبا بنا نجر ! »

---

(١) المقصوء هنا انه ذكر وانها انسى

اننى لازلت اراها وهى ترتدى ثيابها السوداء حدادا على وفاة جدتها . لقد مرت بخاطرها حينئذ فكرة من افكار الطفولة ثم عادت « بيبا » لتصبح « بيتا » مرة ثانية وقالت لى : « هيا بنا نستبق ! »

واخذت تعدو امامى بقامتها الرشيقة ، وخصرها الدقيق ، وقدميها الصغيرتين اللتين كانتا ترفعان ثوبها الى منتصف ساقيهما . وكنت اتبعها وهى تهرب امامى ، وكان الهواء الذى يحدثه عدوها يرفع احيانا قميصها الاسود فيتبع لى ان ارى ظهرها الاسمر النضر

وكنت لا استطيع مغالبة نفسى ، فلحقت بها بجانب البئر القديمة المتهدمة ، وامسكت بها من حزامها بحق انتصارى عليها فى السباق ، ثم اجلستها على العشب فلم تقاومنى ، وامثلت وهى تلهث وتضحك ، بينما كنت جادا لا اكف عن النظر الى عينيها الحالمتين من خلال اهدابها الطويلة السوداء

وقالت لى « بيبا » : « اجلس هنا ! فالدنيا لا تزال نهارا .. اجلس ولنقرا شيئا ، اليس معك كتاب ؟ »

وكان معى يومئذ الجزء الثانى من كتاب « رحلات سبالازانى » ، ففتحته فى صفحة ما واقتربت منها فأسندت كتفها الى كتفى ، واخذنا نقرا نفس الصفحة بصوت منخفض ، كل واحد منا من ناحيته ، فكانت هى تضطر الى انتظارى قبل ان اقلب الصفحة ، فقد كانت روحها اكثر استيعابا من روحى وكانت تقول لى وانا لم اكد انتهى من قراءة السطور الاولى

من الصفحة : « هل انتهيت ؟ »

وكان رأسانا في خلال ذلك يلتقيان ، وكان شعرنا يتشابك ،  
وانفاسنا تمتزج رويدا رويدا وفجأة تلاقى شفاهنا !

ولما اردنا ان نتابع قراءتنا كانت النجوم تملأ السماء ..  
وقالت « بيبا » لوالدها عندما عادت : « آه ! يا أماه ! آه ! يا أماه !  
آه لو كنت تعلمين كم جرينا ! »

لما أنا فلدت بالصمت

وقالت لى والدتى : « انك لا تقول شيئا يا بنى ! يبدو  
انك حزين ! »

ولكنى لم اكن حزيناً ! .. ان الجنة كانت فى قلبى ! لسوف  
اذكر هذه الامسية مدى حياتى !  
طول حياتى !!



دقت الساعة منذ لحظة تعلن الواحدة . ولست ادرى اية  
ساعة تلك التى دقت فلم أعد اسمع جيدا دقائق هذه الساعة  
ويبدو لى ان فى اذنى صوتاً كصوت الارغن .. انها كانت افكارى  
الاخيرة تدوى فى اذنى :

فى هذه اللحظة الحرجة بينما كنت أتأمل ذكرياتى ، وجدت  
جريمتى فيها بشعة للغاية للمرة الثانية ، ولكنى أتمنى كذلك أن  
اندم أكثر من ذى قبل . لقد كنت أكثر ندماً منى الآن قبل أن يصدر  
الحكم على ، ومنذ ذلك اليوم ، يبدو لى أن ليس هناك مكان  
فى نفسى الا لافكار الموت . ومع ذلك ، فانى راغب حقاً فى أن



اندم كثيرا

وعندما حلمت دقيقة ووصلت في حلمي الى ضربة المفصلة  
التي يجب ان تضع حدا لحياتي بعد ساعات ، اجتاحتني  
رجفة كان هذا شيء جديد ! يا لطفولتي الجميلة ! ويا لشبابي  
الجميل ! انهما يبدوان لي الآن كعماش موشى بالذهب وأطرافه  
ملطخة بالدماء ، فبين ذلك العهد وبين الحاضر نهر من اندم ،  
دم الرجل الآخر . . ودمي انا !

اذا قرا الناس يوما قصتي هذه بعد كل تلك السنين من  
البراءة والسعادة ، فلن يصدقوا هذا العام البغيض الذي بدأ  
بجريمة وانتهى بالمفصلة : انه سيبدو شيئا يشوه بهجة  
هذه الحياة

ومع ذلك ، فيا ايتها القوانين البائسة ، ويا ايها الرجال  
التعساء : انى لم اكن شريرا ولا قاسيا !

آه ! اموت بعد بضع ساعات ، وانا افكر في اننى كنت في  
مثل هذا اليوم حرا طليقا ، وطاهرا تقيا منذ عام واحد ؟ وفي  
اننى كنت انتزه نزهاة الخريف ، واجول كما يروق لي  
واسير تحت اوراق الخمائل ؟

في هذه اللحظة بالذات ، هناك الى جوارى ، في هذه المنازل  
التي تحيط بدار القضاء وبساحة الاعدام ، كما هو الحال  
كذلك في كل مكان في باريس ، يوجد اناس يروحون ويفدون  
ويتبادلون الحديث ويضحكون ، ويطلعون الصحف ويفكرون  
في اعمالهم ، وتجار يبيعون وفتيات شابات يعددن ثوب

السهرة لحفل الليلة الراقص ، وامهات يلعبن مع اطفالهن !!  
اذكر انى ذهبت يوما وانا صبي لرؤية ابراج كنيسة «نوتردام»  
وكنت قد اصبحت شاردا بسبب صعود السلم الخلزوني  
المظلم ، وعبور الدهليز الدقيق الذى يربط بين البرجين ،  
وبباريس تحت قدمى ، عندما دخلت القفص المصنوع من  
الحجر والخشب حيث يتدلى الناقوس الكبير ومعه الجلة ،  
وهو يزن الفا من الكيلوجرامات

ولقد مشيت وانا ارتجف فوق الالواح الخشبية غير المرتبطة  
تماما ببعضها ، وانظر من بعيد الى هذا الناقوس  
المعروف جيدا لاهل باريس واطفالها ، والاحظ فى رعب ان  
المنحنيات المغطاة بالقرميد التى تحيط بالناقوس كانت فى  
مستوى قدمى ، وكنت ارى فى اثناء ذلك ، وكانى طير طائر فى  
الهواء ، المارين بميدان كنيسة «نوتردام» وكانهم النمل !

وفجأة ، دوى الناقوس الضخم فهز صوته الراعد الهواء ،  
وجعل البرج الثقيل يرتج ، وكانت « الارضية » الخشبية  
تقفز فوق العروق ، وكدت اقع على ظهري من جراء هذا  
الصوت ، فترنحت بعض الشيء وأوشكت ان انزلق عن الاطار  
المنحدر المصنوع من انقرميد ، فتمت فوق الالواح الخشبية  
من فرط الرعب وانا احضنها بذراعى فى عنف ولا أقوى على  
التنفس مع هذا الرنين الضخم الذى يجلجل فى اذنى ، وتحت  
عينى هذه الهوة السحيقة ، وهذا الميدان العميق حيث كان  
يتقابل عدد كبير من المارة الهادئين الآمنين الذين كنت احسد

في تلك اللحظة على ما هم فيه

حسنا! انه ليبدو لي الآن اننى لازلت في برج الناقوس الكبير  
بكنيسة « نوتردام » . ذلك انى اسمع في هذه الساعة نفس  
الدوى واحس بنفس الدهول ، فهناك شيء ما شبيه بدقات  
الاجراس يهز اعماق مخى ، ولم أعد المح من حولى هذه  
الحياة الممهدة الهادئة التى تركتها وراء ظهري ، والتى لا يزال  
الآخرون يدرجون في طريقها ، لم أعد المحها الا من بعيد ، من  
بعيد جدا ، ومن خلال هوة سحيقة



ان مبنى المحافظة مقبض كئيب !

فسقفه الخشن المدبب ، وبرجه الصغير ذو الشكل الغريب ،  
ومزولته الكبيرة البيضاء ، وطبقاته ذوات الاعمدة الصغيرة ،  
ونوافذه التى تعد بالمئات ، ودرجات سلالمه التى تأكلت من  
الخطوات ، وقوسا البناء اللذان يحفان به من يمين ومن شمال ،  
كل هذا يجعله جائما هناك ، كساحة الاعدام ، مظلمة كئيبا  
تنهش الشيوخوخة وجهه ، واسود جدا الى حد انه يبدو قاتما  
في الشمس !

وفي الايام التى يتم فيها تنفيذ احكام الاعدام ، تقذف ابوابه  
جميعا رجال الشرطة ويطل كل من فى نوافذه على الشخص  
المحكوم عليه بالموت . وفي المساء تظل مزولته التى بينتلى الساعة  
مضبنة في واجهته المظلمة

الساعة الآن الواحدة والربع

وهذا هو ما أشعر به الان :

انى اقاى صداعا شـديدا ، وبرودة مروعة فى كليتى ،  
وجبينى ملتهب ، وكلما وقفت او انحنيت بدا لى ان هناك سائلا  
يجرى فى مخى فيجمله يضطرب فى غلاف جمجمتى

اننى احس برجفة محومة ، ومن وقت الى آخر يسقط  
القلم من يدى كما لو كانت تهزنى صدمات كهربائية

ان عينى ملتهبتان كما لو كنت غارقا فى دخان واشعر بالـ  
هائل فى مرفقى

لسوف اشفى بعد انقضاء ساعتين وخمس واربعين دقيقة !  
انهم يقولون ان المقصلة لا شىء ، وان المرء لا يتالم ، وانها  
نهاية حلوة ، وان الموت بهذه الطريقة يكون مختصرا بسيطا

آه ! اذن ما هذا الاحتضار الذى دام ستة اسابيع ؟  
وما هذه الحشرة التى دامت يوما باكملة ؟ وما هى اذن آلام  
هذا اليوم الذى لن يعوض والذى يمر بسرعة بالغة وفى بـ  
بالغ كذلك ؟ وما هو اذن هذا السلم من العذاب الذى ينتهى  
الى المشنقة ؟

وليس هذا كله الما فى الظاهر !

أو ليست هى نفس التقلصات العنيفة حين يفرغ الدم قطرة  
قطرة ، وحين ينطفىء الذكاء فكرة بعد فكرة ؟

ثم انهم يقولون ان المرء لا يتالم من المقصلة ، فهبل هم  
واثقون من ذلك ؟ ومن ذا الذى قال لهم هذا الكلام ؟ وهل حدث  
قط أن راسا مقطوعا وقف يقطر دما على حافة السلة ليصبح

في الجمهور قائلا : « ان هذا لا يحدث الما ! »

هل حدث ان امواتا ماتوا بهذه الطريقة ، عادوا ليقدموا لهم  
الشكر وليقولوا لهم : « ان اختراعكم هذا اختراع عظيم ، وعليكم  
ان تستمروا في استعماله ! انه آلة جيدة ! »

وهل هو « روبسبير » الذي قال هذا او « لويس السادس  
عشر ؟ »

كلا ! لا شيء من هذا ! ان الامر ينتهي في اقل من دقيقة ، بل  
في اقل من ثانية ! - فهل وضعوا انفسهم قط ، ولو في الخيال ،  
موضع الشخص الذي يكون هناك عندما تهوى السكين الثقيلة  
فتعض اللحم وتقطع العروق ، وتكسر مفاصل الرقبة وعظامها ؟  
ولكن ماذا ؟ .. ماذا تقولون ؟ تقولون انها نصف ساعة !  
وان الالم يختصر ! . فيا للهول !

من الغريب حقا اني لا اكف عن التفكير في الملك !

ومهما فعلت ومهما هزرت راسي ، فان هناك صوتا يتردد  
في اذني ويقول لي على الدوام : « هناك في نفس هذه المدينة ،  
في نفس هذه الساعة ، ولكن في قصر آخر (١) ، رجل لديه كذلك  
حراس على كل ابوابه ، ، وهو شخص فريد في نوعه بين افراد  
الشعب من امثالك مع هذا الفارق الوحيد ، وهو انه مرتفع  
بقدر ما انت منخفض . ان حياته كلها دقيقة فدقيقة ليست الا  
مجدا وعظمة وسرورا ومنتعة ، وكل شيء من حوله عبارة عن

---

(١) اي في قصر آخر غير هذا القصر الذي جعلوا منه سجنا ودارا للفضله

حب واحترام وتبجيل . ان اكثر الاصوات ارتفاعا لتخفض  
حينما تتحدث اليه وتنحنى امامه اكثر الجباه تيبها وفخرا ،  
ولا تقع عيناه الا على الحرير والذهب ، وهو يرؤس في هذه  
اللحظة اجتماعا من اجتماعات الوزراء فيقره الجميع على رايه ،  
او انه يفكر في رحلة الصيد التي سيقوم بها غدا ، اوفى حفل هذه  
الليلة الراقص ، وهو على يقين من انه سيتم في الساعة المحددة  
له ، ويترك للآخرين امر تدبير ملذاته . حسنا ! ان هذا الرجل  
مثلك من لحم وعظم ! - ولكى تنهار المفصلة الرهيبة في نفس  
اللحظة ويعاد اليك كل شيء : حياتك ، وحررتك ، وثروتك ،  
واسرتك ، يكفى منه ان يكتب بهذا القام الحروف السبعة التي يتكون  
منها اسمه في ذيل قصاصة من الورق ، او تقابل عربته  
الملكية العربية التي ستحملك الى ساحة الاعدام ! - وهو رجل  
طيب ، وقد لا يكون راغبا في اكثر من هذا العمل الطيب ، ولكن  
هذا لن يحدث !



حسنا اذن ! لنكن شجعاء مع الموت . ولنقابل هذه الفكرة  
الرهيبة بشجاعة ، ولنواجهها وجها لوجه . لنسأل ما هو الموت ،  
ولنعرف ماذا يريد منا ، ولنقلب هذه الفكرة على جميع  
وجوهها ، ولنقرأ الغيب ، ولننظر مقدما في القبر

انه ل يبدو لى اننى عندما ستغمض عيناي ، سأرى ضوءا  
باهرا وهوة سحيقة من النور تعدو خلالها روحى الى ما لانهاية ،  
ويبدو لى ان السماء سوف تكون مضيئة من تلقاء نفسها ، وان

النجوم ستكون فيها كأنها نقط سوداوات ا نعم ، يبدو لى أن  
النجوم ستبدو كأنها نقط سوداوات على قماش ذهبى اللون ،  
بدلا من ان تكون كما تتراى لاعين الاحياء ، قصاصات من  
ذهب على قطيفة سوداء

أو قد تكون ويا لشقائى - هوة مروعة ، جدرانها مبطننة  
بالظلمات ، اهوى فيها بلا توقف وأنا ارى أشباحا تتحرك فى  
الظلام !

أو اننى قد اجد نفسى بعد أن استيقظ من ضربة المقصلة  
فوق مساحة ما مسطحة رطبة، وأنا ازحف فى الظلام ، وادور  
على نفسى مثل الرأس الذى يتدحرج ، ويخيل الى انه ستكون  
هناك ربح صرصر عاتية تدفعنى بلا هوادة ، فأصطدم هنا  
وهناك براءوس أخرى تتدحرج ، واننى سأمر أحيانا فى طريقى  
بمستنقعات وجداول وانهار بها سائل فاتر مجهول ، وأن كل  
شئ سىكون حالك السواد ، وان عينى حينما تتجهان فى دورانهما  
الى اعلى فلن تريا الا سماء مظلمة تضغط عليهما طبقاتها  
الكثيفة ، والا قبابا ، ضخمة من دخان أسود كالظلمات ، ترى  
فى النهاية على بعد سحيق ، وأن عينى سوف تريان كذلك شررا  
صغيرا احمر يتطاير فى الظلام ، لا يلبث عندما يقترب منهما أن  
يتحول الى طيور من نار ، وستظل الحال على هذا النحو الى  
الابد

وقد يحدث أحيانا فى مواقيت معينة أن يجتمع اولئك الذين  
ماتوا فى ساحة الاعدام خلال ليالى الشتاء السودلوات فى الميدان

الذى هو خاص بهم ، وسوف يكون هذا الجمع جمهورا شاجبا  
داميا ، ولن أتخلف عن ان اكون بينهم ، ولن يكون هناك قمر  
وسوف نتحدث فى اصوات خافتة . ان مبنى المحافظة سوف  
يكون هناك بواجهته العتيقة ، وسقفه الممزق ، ومزولته التى  
كانت لا ترحم احدا . وسوف تكون فى الميدان مقصلة من جهنم  
يعدم بها احد الشياطين جلادا ، وسوف يتم ذلك فى الساعة  
الرابعة صباحا ، وسوف نتجمهر بدورنا من حوله !

نعم ، قد يكون الامر كذلك . ولكن اذا عاد هؤلاء الموتى فعلى  
اية صورة يعودون ؟ وما الذى يحتفظون به من اجسامهم  
الناقصة المشوهة ؟ وماذا سوف يختارون ؟ هل سيكون شبح  
كل منهم رأسا ام جذعا ؟

وا أسفاه ! ترى ماذا يفعل الموت بارواحنا ؟ واى شكل  
يدعه لها ؟ ما الذى يأخذه منها أو يعطيها اياه ؟ واين يضع  
الموت الروح ؟ وهل يجعل لها فى بعض الاحيان عينين بشريتين  
كى تنظرا الى الارض وتبكيها ؟

آه ! الى بقسيس ! اريد قسيسا يعرف هذا ، ويحدثنى  
عنه ! اريد قسيسا وصليبا اقبله !

رباه ! انه دائما نفس القسيس ! (١)



لقد رجوته ان يتركنى فانام ، والقيت بنفسى على السرير ،

---

(١) يقصد نفس الكاهن الذى كان معه منذ قليل ، وقال عنه ان كلامه  
فانر لا حرارة فيه ولا تأثير له



وكان دمي كله قد صعد في الواقع الى رأسي ، فحملني هذا على النوم . كانت هذه نومتي الاخيرة من هذا النوع !

ورابت في المنام أن الوقت كان ليلا ، وخيل الى اني كنت في مكتبي مع اثنين من اصدقائي او ثلاثة ، لست أدري من هم على وجه التحقيق

وكانت زوجتي نائمة مع طفلتها في الغرفة المجاورة

وكنا نتحدث انا واصدقائي في صوت خفيض ، وكان ما يدور بيننا من الحديث يبعث الخوف في انفسنا

وفجأة ، خيل الى اني اسمع صوتا ما في الغرف الاخريات من المسكن ! كان صوتا خافتا غريبا غير واضح !

وكان اصدقائي قد سمعوا هذا الصوت كما سمعته ، فانصتنا جميعا : كان كأنه صوت قفل يفتح خلسة ، او مزلاج يسحب في صوت ضئيل

وكان ثمة شيء يثلج اطرافنا : وهو اننا كنا خائفين . وحسبنا أن لصوصا قد تسللوا الى مسكني في هذه الساعة المتقدمة جدا من الليل ، فقررنا ان نذهب لنرى ما هنالك . فنهضت من فوق مقعدي ، وأخذت الشمعة في يدي ، وتبعني اصدقائي واحدا في اثر الآخر

واجتازنا غرفة النوم المجاورة ، وكانت زوجتي نائمة مع ابنتها ، ثم وصلنا الى غرفة الجلوس ، ولكن لم يكن هناك شيء كانت الصور مثبتة في اطاراتها الذهبية من فوق الستائر الحمراء ، غير انه خيل الى ان الباب الذي بين غرفة الجلوس

## وبين غرفة المائدة ليس في مكانه المألوف

ودخلنا غرفة المائدة وطوفنا بها باحثين فاحصين ، وكنت أنا الذى يسير فى الطبيعة . كان باب السلم مغلقا تماما وكذلك النوافذ . وعندما بلغت المدفأة رايت ان صوان الملابس كان مفتوحا ، وان بابه كان مشدودا الى زاوية الجدار ، كما لو كان المقصود هو اخفاء ذلك . فادهشنى هذا ، واعتقدنا ان هناك شخصا ما وراء هذا الباب

فأمسكت هذا الباب بيدي كى اعيد اغلاقه ولكنه قاومنى . فعجبت وجذبتة بقوة هى اكبر من سابقتها ، وفجأة استجاب الباب ، واكتشفنا خلفه امرأة عجوزا قصيرة القامة متدلية الذراعين ومغمضة العينين ، قد وقفت بلا حراك كما لو كانت ملتصقة بركن الجدار !

كان ذلك منظرا مفرعا يقف له شعر راسى عندما افكر فيه !

وقلت سائلا هذه العجوز : « ماذا تفعلين هنا ؟ »

فلم تحر جوابا ، وعدت أسألها قائلا : « من انت ؟ »

فلم تجبى كذلك ولم تبد حراكا وظلت مقفلة العينين

وعندئذ قال لى اصدقائى : « انها دون شك شريكة هؤلاء الذين تسللوا الى بيتك لاغراض شريرة ، ولا بد انهم قد فروا حين سمعونا نقترب منهم ، ولم تتمكن هى من الهرب فاختبأت هنا ! »

فسالت المرأة من جديد ، ولكنها ظلت لا تتكلم ولا تتحرك ولا تنظر ! ودفعها احدنا فوقعت على ارض الغرفة ، وقعت كتلة

واحدة ، كأنها قطعة من الخشب أو شيء جامد لا حياة فيه !  
وهز زناها من قدميها ، ثم أوقفها الثنان من بيثنا ، وجعلها  
تستند من جديد الى الجدار ، غير أنها لم تبد مايدل على أنها  
على قيد الحياة ! فصرخنا في اذنها ولكنها بقيت صامتة كأنها  
صماء !

ونفذ صبرنا مع ذلك ، وكان ربنا ممزوجا بالغضب ، فقال  
لى واحد من أصدقائي : « ضع الشمعة تحت ذقنها ! »

فوضعت فتيلة الشمعة الموقدة تحت ذقنها ، وعندئذ فتحت  
المرأة عينا واحدة ، فتحتها قليلا ، فكانت عينا خاوية لا تنظر ،  
مخيفة لا حياة فيها !

فأبعدت الشمعة عنها وقلت لها : « آه ! أخيرا ! هلا اجبتنى  
ابتها الساحرة العجوز ؟ من تكونين ؟ »

وانطبقت عين المرأة بحركة تلقائية فقال الآخرون : « انها  
تبالغ كثيرا فى هذه المرة ! أعد الشمعة مرة اخرى اذ يجب ان  
نحل عقدة لسانها !

فأعدت الشمعة تحت ذقن العجوز ، ففتحت عينيها فى ببطء  
ونظرت الينا جميعا واحدا بعد الآخر ، ثم انحنت فجأة ونفخت  
فى الشمعة بنفس بارد ، واحسست فى نفس اللحظة بثلاث  
أسنان حادة تنفوس فى يدي فى الظلام !

واستيقظت عندئذ من نومى ملهورا وقد غمر جسمى عرق  
بارد . وكان القسيس الطيب جالسا عند اسفل سريرى يتلو  
بعض الصلوات

فسأله قائلاً :

– هل نمت طويلاً ؟

فأجابني بقوله :

– نمت ساعة يا بني . لقد أحضروا لك ابنتك وهي هنا

تنتظرك في الحجرة المجاورة ، ولم أشأ أن يوقظك أحد

فضحكت قائلاً :

– آه ! ابنتي ؟ لياتوني بابنتي !



## مارى ابنتى

انها نظرة وردية اللون ذات عينين كبيرتين ، انها لجميلة  
حقا !

لقد البسوها ثوبا يلائمها تماما

اخذتها ورفعتها بين ذراعى ، ثم اجلستها على ركبتى وقبلت  
شعرها

وساءلت نفسى : ترى لماذا لم تحضر معها امها ؟ الان امها  
مريضة ، وكذلك جدتها ؟ حسنا !

كانت تنظر الى فى دهشة بادية ، بينما اخذت اداعبها ،  
واحضنها ، والتهمها بقبلاى وهى تتركنى افعل كل ذلك ،  
غير انها كانت بين لحظة واخرى تلقى نظرة حائرة على خادمتها ،  
التي كانت تبكى فى ركن الغرفة

واستطعت اخيرا ان اتكلم فقلت لها :

– « ماري ! » يا صغيرتى « ماري ! »

وكنت فى تلك اللحظة اضمها فى عنف فوق صدرى  
المنتفخ بالدموع الملهبة ، فصاحت صيحة صغيرة وقالت لى :

– آه ! انك تؤلمنى يا سيدى !

« سيدى ؟ ! » ها هو ذا عام تقريبا قد انقضى لم ترنى

خلاله هذه الطفلة المسكين ! لقد نسيتنى ، نسيت وجهى  
وكلامى ولهجتى ، ثم ... من ذا الذى يستطيع أن يعرفنى وأنا  
بهذه اللحية ، وفى هذه الثياب ، وفى مثل هذا الشحوب ؟ آه !  
اهكذا محيت سريعا من هذه الذاكرة ، وهى الذاكرة الوحيدة  
التي كنت أود أن أعيش فيها ! آه ! أبمثل هذه السرعة لم أعد  
أبا ؟ أنا الذى قضى على ألا أسمع قط بعد الآن هذه الكلمة :  
كلمة « بابا » ! هذه الكلمة التى هى من لغة الاطفال ، والتي  
تبلغ من العذوبة حدا لا يمكن أن تبقى معه فى ذاكرة الرجال !

ومع ذلك ، فقد كنت لا أتمنى الا ان أسمع هذه الكلمة من  
هذا الفم مرة أخرى ، مرة واحدة فحسب ... هذا هو كل  
ما كنت أريده فى مقابل الاربعين سنة التى سياخذونها من  
عمرى !

قلت لها وأنا آخذ بيديها الصغيرتين فى يدي :

– اصفى الى يا « ماري » .. الا تعرفيننى ؟

. فنظرت الى بعينيها الجميلتين ثم أجابت قائلة :

– آه ! حسنا .. اننى لا اعرفك !

فعدت اكرر القول :

– أنظري الى جيدا .. كيف لا تعرفين من أنا ؟

فقال لي :

– بلى ، بلى .. انك سيد

وا اسفاه ! هاهو ذا امرؤ لا يحب من اعماق قلبه الا مخلوقا  
واحدا فى هذا العالم ، يحبه بكل جوارحه ، ويجده امامه ،

وينظر اليه ، ويراه ويحدثه ويرد عليه . . ولكن هذا المخلوق لا يعرفه ، اننى لا أريد عزاء الا منها ، فهى الانسان الوحيد الذى لا يعرف انى فى حاجة الى العزاء ، لانى اوشك ان أموت !  
واستأنفت حديثى معها قائلاً :

– الك أب يا « ماري ؟ »

– نعم يا سيدى

– حسنا ، وأين هو ؟

فرفعت الى عينين واسعتين تطل منهما الدهشة وقالت :  
– الا تعلم اذن ؟ لقد مات يا سيدى !

وما ان قالت هذا حتى تصلبت ذراعاي على ماري لهول ما سمعته فصرخت ، وكادت تسقط منى على الارض ! بينما كنت أقول لها :

– مات ! اتعرفين يا « ماري » ما معنى انه مات ؟  
فأجابتنى قائلة :

– نعم يا سيدى . . انه فى الارض وفى السماء

ثم استطردت تقول من تلقاء نفسها : « انى اصلى من أجله صباحا ومساء وأنا على ركبتى ماما »

فطبعت قبلة على جبينها وقلت لها :

– قولى لى صلاتك يا « ماري »

– لا أستطيع يا سيدى . ان الصلاة شىء لا يقال بالنهار .  
تعال عندنا فى البيت هذا المساء وأنا أقولها لك  
وكان هذا حسبى لكننى قاطعتها قائلاً :

– « ماري » انا والدك !

– آه !

فعدت أقول :

– اتحبين أن اكون والدك ؟

فاشاحت الطفلة عنى بوجهها ثم قالت :

– كلا .. لقد كان والدى أجمل منك كثيراً !

فاخذت اغرقها بقبلاى ودموعى ، فحاولت ان تفلت من بين ذراعى ، وهى تصيح قائلة : « انك تؤلمنى بلحيتك ! »

وعندئذ اجلستها ثانية على ركبتي وأنا احرسها بعينى ثم سألها قائلا :

– اتعرفين القراءة يا « ماري » ؟

– نعم ، اعرفها جيدا ، ان والدى تجعلنى أقرأ حروفا اكتبها بنفسى

فقلت لها وأنا اريها ورقة كانت تمسك بها مجعدة فى احدى يديها الصغيرتين :

– ارينى كيف .. هيا اقرئى قليلا !

فهزت رأسها الجميل وقالت :

– حسنا ! لست اعرف الا قراءة الحكايات

فعدت أقول لها :

– استمرى فى المحاولة .. ارينى .. اقرئى

فنشرت الورقة واخذت تتهجى مشيرة بأصابعها :



– ح . . ك . . حك . . م . . « حكم » (1)

فانتزعت الورقة من بين يديها ، فقد كان ما تقرأه هو نص  
الحكم الصادر على بالإعدام ، وكانت خادمتها قد اشترت هذه  
الورقة بنصف مليم ، أما أنا فقد كلفتني غالبا !

ليسبت لدى كلمات أستطيع بها أن أعبر عما كنت أقاسيه  
في تلك اللحظة ! كان عنفي قد روعها وأخافها وكانت تبكي  
تقريبا . وفجأة قالت لي : « أعد الى ورقتي اذن لالعب بها !  
عجبا ! »

فارجعت الطفلة الى الخادمة وأنا أقول :

– خذها من هنا !

ثم تهالكت على مقعدى مكتئبا يائسا شارد اللب ! يجب  
عليهم أن يحضروا الآن فلم أعد أتمسك بأى شيء إذ انقطع  
آخر وتر من أوتار قلبي ، وصرت مهيبا لما سيفعلونه بي على  
الفور !

ان القسيس رجل طيب القلب ، وكذلك الجندي الحارس ،  
واحسب ان كل واحد منهما قد ذرف دمعة حينما قلت  
للخادمة : « خذها من هنا ! »

لقد قضى الامر الآن ، فيجب على ان اتصلب في اعماق  
نفسى ، وأن أفكر بثبات في الجلاد ، وفي العربية ، والجنود ،  
والجمهور المحتشد على الجسر ، وفي المحتشدين على رصيف

---

(1) Arrêt « حكم » : كانت هذه أول كلمة مكتوبة على الورقة التي  
بين يديها ، وكانت صورة من حكم الإعدام الصادر عليه

نهر السين ، وفي الدين يقفون امام النوافذ ، وفيما سوف يعد  
خصيصا من اجلى في تلك الساحة ، ساحة الاعدام المظلمة التي  
يمكن ان ترصف بما هوى من الرءوس  
احسب انه لا تزال امامى ساعة كى آلف كل ذلك



ان كل هذا الشعب سوف يضحك ويصفق . وبين كل  
هؤلاء الرجال الاحرار الذين لا يعرفهم الجلادون ، والذين  
يسرعون في مرح لمشاهدة تنفيذ حكم الاعدام ، بين كل هذه  
الرءوس التي ستغطى الميدان ، هناك اكثر من راس كتب عليه  
ان يتبع راسى ان عاجلا او آجلا الى السلة الحمراء ، وهناك  
اكثر من شخص من هؤلاء الذين يأتون من اجلى سوف يأتون  
فى يوم من الايام من اجل انفسهم !

فبالنسبة لهؤلاء الاشخاص المنحوسين ، هناك نقطة معينة  
فى ساحة الاعدام ، هى عبارة عن مكان مشئوم ومركز جاذبية وفتح  
منسوب ، وهم يحومون حوله ويحومون الى ان يتردوا فيه ا

ابنتى الصغيرة « ماري ! » - لقد اعادوها لتلعب . . الها  
تنظر الى الجمهور من خلال نافذة العربة التي تقلها ولم تعد  
تفكر فى هذا « السيد ! »

قد يتاح لى كذلك بعض الوقت لاكتب لها بعض الصلحات  
حتى تقرأها فى يوم من الايام ، وتبكى بعد خمسة عشر عاما  
بدلا من اليوم

نعم ، يجب أن تعرف « ماري » قصتي منى وأن تعرف  
السبب في أن الاسم الذي أتركه لها يقطر دما !

### قصتي

كلمة من الناشر : لم نجد الى الآن الورقات الخاصة بهذا  
الفصل من الكتاب . وقد يكون المحكوم عليه بالاعدام لم يجد  
متسعا من الوقت لكتابتها كما ستبينه الصفحات التالية ، وكان  
الوقت قد أزف عندما خطرت له هذه الفكرة



## الى ساحة الاعدام

من غرفة بدار المحافظة ! اننى هنا اذن ا لقد تمت الرحلة  
البغيضة وهامى ذى ساحة الاعدام ، وهاهو ذا الشعب الرهيب  
يضج بالصراخ تحت نافذتى وينتظرنى وهو يضحك !

وقد حاولت جهدى أن أتشجع أو أستجمع قواى ولكنى  
كنت احس دائما بأن قلبى يخونى ، وقد خائنى اكثر ، وكاد  
يكف عن الخفقان عندما رأيت هاتين الذراعين الحمراءوين ،  
وفى نهايتهما هذا المثلث الاسود (1) ، تظالغنى من فوق  
الرهوس وقد نصبت كلها لى ، بين مصباحين على رصيف النهر ، فطلبت  
ان اعترف اعترافا اخيرا ، فأحضرونى الى هنا ، وذهبوا لاستدعاء  
أحد وكلاء النائب العام ، وهانذا أنتظره وسوف أكسب بهذا  
بعض الوقت !

وهذا ما حدث :

دقت الساعة ثلاث دقات ، عندما جاءوا ليخطرونى بأن  
الوقت قد حان ، فارتجفت كما لو كنت أفكر فى شيء آخر منذ  
ست ساعات أو منذ ستة اسابيع ، بل منذ ستة اشهر ، لقد  
كان لهذا فى نفسى وقع سيء لم اكن أنتظره

---

(1) ذراعا المقصلة وسكينها

وساقونى امامهم فاجتزت الدهاليز ونزلت السلالم ثم دفعونى  
بين نافذتين صغيرتين بالطابق الارضى فى غرفة ضيقة مظلمة  
سقفها به قباب ، ويصل اليها ضوء خافت من نور يوم معتم  
مطير . كان الضباب كثيفا ، وكان ثمة مقعد فى وسط الغرفة  
وامرونى بالجلوس فجلست

وكان هناك ، عدا القسيس والحراس ، رجال يقفون الى  
جوار باب القاعة وبطول الجدران ، وكان هناك كذلك ثلاثة  
رجال آخرين

كان اولهم - وهو اطولهم قامة واكبرهم سنا - بدينا ذا  
وجه احمر ، ويرتدى « ردنجوتا » وقبعة غير منتظمة الشكل  
لها زوايا ثلاث . لقد كان هو !

نعم ، كان هو الجلاب بعينه ، خادم المقصلة ، وكان الرجلان  
الآخران خادمين له شخصيا !

وما ان جلست حتى اقترب منى الرجلان الآخران من الخلف  
وكانهما قطان ، وفجأة ، أحسست ببرودة الصلب تسرى فى  
راسى وصلصلة المقصات تدوى فى اذنى ، واخذ شعرى  
الذى كانوا يقصونه كيفما اتفق ، يتساقط خصلا على كتفى ،  
فكان الرجل البدين ذو القبعة المثلثة الاركان ينفذه فى رفق  
بيده الضخمة

ومن حولى كان يدور الحديث فى صوت هامس  
وكانت تترامى الى اذنى من الخارج جلبة عظيمة كأنها رعد يتدفق مع  
الهواء ، فحسبت فى اول الامر أنها صادرة من النهر ، ولكنى

ما لبثت أن سمعت ضحكات عالية ، فأدركت أن تلك الجلبة كانت منبعثة من الجماهير

وكان هناك شاب يقف الى جوار النافذة وقد اخذ يكتب بالقلم فوق حافظة أوراقه ، فسأل أحد الحراس قائلاً :

– ما هذا الذي يفعلونه الآن بالمحكوم عليه ؟

فأجابه الحارس بقوله :

– هذه زينة المحكوم عليه بالموت !

فقهمت عندئذ أن هذا سيظهر غداً في الصحف

وفجأة ، خلع لي أحد خادمي الجلاد سترتي ، واخذ الآخر يدي اللتين كانتا تتدليان الى جانبي وجذبهما وراء ظهري ثم أحسست بالحبل وهو يلتف حول معصمي في بطن . وفي نفس اللحظة كان الخادم الاول يفك ربطة عنقي ، لكن قميصي «الباتستا» وهو الخرقة الوحيدة التي تبقت لي مما كنت ارتديه فيما مضى – جعله يتردد لحظة ثم شرع الرجل في قص « ياقته »

فارتجفت لهذه الحيلة الرهيبة حينما مس المقص الصلب رقبتى ، وارتعد مرفقاي في عنف ظاهر وند عنى أنين مكتوم ارتعشت له يدا « صبي ، الجلاد

وقال لي الرجل :

– سامحنى يا سيدى ! هل آلتك ؟

ان هؤلاء الجلادين ذوو شعور رقيق للغاية

وكان صراخ الجماهير يتزايد في الخارج

وعرض على الرجل البدين ذو الوجه الاحمر ان اشم منديلا  
مشبعا بالخل ، فقلت له باعلى صوت استطعته : « شكرا ، هذا  
لا جدوى منه فانا اشعر بانى فى حالة جيدة »

وعهدتذ انحنى اقدمهم ، وقيد قدمى بجبل رفيع رقيق كان  
لا يتيح لى ان اخطو الا خطوات ضيقة للغاية ، ثم ربطوا هذا  
الجبل الاخير بجبل يدى

ثم القى الرجل البدين بالسترة على كتفى وربط كميها معا  
من اسفل ذمنى : « كان كل ما كان ينبغى ان يتم هنا قد انتهى  
وفى تلك اللحظة ، اقترب منى القسيس بصليبه وقال لى :  
« هيا يابنى »

فامسك بى خادما الجلاد من تحت ابطى فنهضت ومشيت .  
كانت خطواتى خائرة منهارة ، كما لو كانت كل ساق من ساقى  
لها ركبتيان !

وفتح الباب الخارجى على مصراعيه فى تلك اللحظة ، فاندفع  
نحوى فجأة وأنا فى الظلام ، صياح الجماهير الغاضب مختلطا  
بالهواء البارد والضوء الابيض . ورايت فجأة ودفعة واحدة من  
خلال المطر وعبر النافذة الصغيرة المعتمة آفا مؤلفة من الرؤوس  
رءوس الشعب الذى تكلس بعضه الى جانب البعض فى غير  
نظام ، وهو يصيح من فوق سلم المحافظة الكبير . وكان هناك  
الى اليمين عند عتبة الباب تماما صف من فرسان البوليس  
على ظهور جيادهم التى لم يكن يبدو لى منها سوى صدورهما  
واقدامها الامامية من خلال الباب المنخفض ، وكانت هناك فى

مواجهتى سرية من الجنود فى زى الميدان ، كما ظهرت الى اليسار مؤخرة عربية ( كارو ) كان يرتكز عليها سلم غليظ خشن ! فكان هذا كله لوحة كئيبة تتمشى تماما مع باب السجن !

وكنت قد استطعت أن احتفظ بشجاعتى حتى هذه اللحظة الرهيبة ، فخطوت ثلاث خطوات الى الامام ، وما كدت أبدو عند باب القاعة ، حتى علا صياح الجماهير قائلا : « هذا هو ! هذا هو ! هاهوذا يخرج أخيرا ! » وكان أقربهم الى مكانى يصفقون ، ومهما أحب الشعب ملكا فلن يحتفى به مثل هذه الحفاوة

وكانت العربية عربية ( كارو ) عادية يجرها جواد هزيل وكان سائقها يرتدى حلة زرقاء بها رسوم حمراء اللون شبيهة بشباب تجار الخضر حول سجن « بيستر »

وصعد الرجل البدين ذو القبعة المثلثة الاركان الى العربية أولا ، وكان الصبية المتعلقون بالسور الحديدى يصيحون لمراه قائلين : « اهلا وسهلا بالسيد شمشون » ثم تبعه الى العربية أحد خادميه ، فعاد الصبية يصيحون من جديد : « مرحى يا ماردى ! » وجلس الرجلان على مقعد العربية الامامى

ثم حان دورى ، فصعدت الى العربية فى مظهر ثابت بعض الشيء . وفى تلك اللحظة قالت امرأة كانت تقف الى جوار الجنود : « انه على مايرام ! »

ومنحنى هذا الثناء المروع شيئا من الشجاعة ، وجاء القسيس



ليجلس الى جوارى وكانوا قد اجلسوني على المقعد الخلفى  
وظهرى الى جواد العربى ، فارتجف بدنى لهذه اللفتة الاخيرة !  
انهم يبدوون انسانية فى مثل هذه الامور

وأردت ان أنظر حولى • كان امامى جنود ومن خلفى  
جنود ، هم الجماهير •• نعم ، جماهير ثم جماهير ثم جماهير :  
لقد كان هناك بحر من الرؤوس يغمر الميدان !

وكانت كوكبة من فرسان البوليس فى انتظارى عند باب  
سور المحافظة الحديدى • وأصدر الضابط أوامره ، فتحركت  
العربة مع الموكب كما لو كان صياح الجماهير قد دفعها الى  
الامام

واجتزنا الباب الحديدى ، وما كادت العربة تنعطف فى  
اتجاه قنطرة « أو شانج » حتى انفجرت الضوضاء فى الميدان ،  
من الارض الى أسطح المنازل ، ورددتها القناطر وأرصفت نهر  
« السين » فى دوى كأنه زلزال يهز الارض هزا فى غير هوادة  
ولا رحمة !

وفى تلك اللحظة ، انضم البوليس ، الذى كان ينتظرنى ،  
الى قوة الحراسة

وكانت آلاف الافواه تصيح معا ، تماما كما يحدث عند مرور  
الملك : اخلعوا قبعاتكم ! اخلعوا قبعاتكم ! « (١)

فضحكت انا كذلك ضحكة كثيفة وقلت للقسيس : « هم  
القبعات •• وأنا الرأس ! » (٢)

---

(١) لتحية الداهب الى الموت مندرووه  
(٢) اى هم يخلعون قبعاتهم وأنا سيخلع راسى !

واخذ الموكب يسير خطوة خطوة . وكان رصيف الزهور  
تنبعث منه روائح زكية ، وكان اليوم يوم السوق ، فتركت  
بائعات الزهور زهورهن من أجل أنا

وهناك فى مواجهتنا ، قبل البرج المربع الجاثم فى ركن دار  
المحافظة بقليل ، حانات كان انطبق الارضى منها يعج  
بالمفرجين الذين ينعمون بأماكنهم الجميلة ، وكان أكثرهم من  
النساء ! لابد أن يكون هذا اليوم يوما طيبا بالنسبة لاصحاب  
الحانات ! فقد كانوا يؤجرون المناضد والمقاعد والمنصات  
والعربات ( الكارو ) ، وكان كل شىء مزدحما بالمفرجين ،  
وكان بائعو الدماء البشرية يصيحون بملء أفواههم قائلين :  
« من ذا الذى يريد مكانا ؟ »

وتملكنى السخط على هذا الشعب ، ووددت لو أصرخ فى  
الناس قائلا : « من منكم يريد مكانى ؟ »

ومع ذلك فقد أخذت العربة تتقدم ، وفى كل خطوة كانت  
تخطوها كان الجمهور ينفذ من ورائها وكنت أرى بعينى  
الشاردتين أفواجا من الناس ، وهى تسارع الى التجمع فى  
مواضع أخرى أبعد الى الامام فى الطريق الذى يمضى فيه  
موكبى

وحينما بدأنا نمر فوق قنطرة « أوشانج » أقيت بطريق  
الصدفة نظرة ذات اليمين الى الورا ، فاستقرت عيناي عند  
رصيف نهر السين من الضفة المقابلة على برج أسود منعزل  
قائم من وراء أسطح المنازل ، وكان هذا البرج مزدانا بالنقوش ،

ركنت أرى فى قمته تمثالين لوحشين من الحجر فى جلسة جانبية . ولست أدرى ماذا دفعنى الى سؤال القسيس عن امر هذا البرج

فأجابنى الجلاد بقوله : « انه القديس جاك لابوشيرى »

ولست أدرى كيف كان لايفوتنى شيء مما كان يدور من حولى رغم الضباب ورغم المطر الدقيق الابيض الذى كان يملأ الهواء وكأنه خيوط نسيج العنكبوت ، وكانت كل واحدة من هذه التفاصيل تضيف الى نفسى عذابا فوق عذاب . ولست أجد من الكلمات ما أستطيع به أن أعبر عما أشعر به من انفعالات

وفى نحو منتصف قنطرة «أوشانج» العريضة جدا والمزدحمة للغاية ، والتي كنا نسير فوقها فى صعوبة بالغة ، تملكنى رعب عظيم وخشيت أن أغيب عن الوعي . ياله من غرور أخير ! فحرصت عندئذ على أن أعمل على تشريد ذهنى حتى اصير كالأعمى الاصم فلا أرى شيئا ولا أسمع شيئا عدا القسيس الذى كنت أسمع كلماته فى جهد جهيد تتخللها ضجة الشعب

فتناولت الصليب وقبلته ثم قلت : « رحماك يا الهى ! » وحاولت أن أفنى نفسى فى هذه الفكرة ، ولكن كل « مطب » تضطرب فيه العربة الصلبة كان يهزنى هزا عنيفا ، ثم أحسست فجأة ببرودة شديدة ، اذ كان المطر قد نفذ من ثيابى وغمر جلد رأسى من خلال شعرى الذى قصوه قصيرا

وسألنى القسيس قائلا :

- أترتجف من البرد يا بنى ؟

فأجبتة بقولى :

- نعم

وكنت للأسف لا أرتجف من البرد وحده !

وعند ناصية القنطرة أبدى بعض النساء عطفهن على لانى شاب حديث السن . ثم مضينا قدما على طول الرصيف المشنوم ، فبدأت لا أرى شيئا ولا أسمع شيئا ! آه من كل هذه الاصوات وكل تلك الرؤوس التى تطل من النوافذ والابواب وتحتشد أمام الحوانيت وفوق أعمدة النور ، آه من كل هؤلاء المتفرجين النهمين القساء ، هذا الجمهور الذى يعرفنى كله ولا اعرف شخصا واحدا منه ، هذا الطريق المرصوف والمسور بالوجوه البشرية !! اتى كنت ثملا مذهولا متبلد الذهن ! ان كل هذه الانظار التى تتطلع اليك شىء لا يمكن احتمالها !

لقد كنت أترنج اذن فوق المقعد ولم أعد ألقى بالا الى شىء ، حتى ولا الى القسيس أو الصليب . وفى غمرة الضجيج الذى كان يحيط بى ، صرت لا أميز صيحات الشفقة من صيحات السرور ، أو أفرق بين الأناث والضحكات ، ولا بين الاصوات والصخب ، فكل ذلك كان ضجيجا يدوى فى رأسى كما يدوى الصدى فى آلة من نحاس !

وكانت عيناى تقرأن لافتات الحوانيت بطريقة آلية ، وتملكنى مرة فضول عجيب لان أدير رأسى لانظر الى أى مكان كنت أسير . كان هذا تحديا أخيرا من العقل ، غير أن جسمى لم

يستجب لهذا ولبت عنقي مشلولاً كأنه مات مقدماً !

لقد لمحت فحسب ، عن يسارى من الجانب بعيداً عن النهر ،  
برج كنيسة « نوتردام » الذى اذا نظر اليه من هذا الموضع ،  
فانه يحجب البرج الآخر ، هذا البرج الذى كان العلم مرفوعاً  
عليه ، وكان به جمع غفير كان المفروض انه يرى موكبى فى  
وضوح

وواصلت العربة المسير فاخذت تتقدم وتتقدم والحوانيت  
تمر ، واللافتات تتتابع مكتوبة او مرسومة او مطلية بالذهب  
وكان الجمهور يضحك ويضرب الوحل بالاقدام ، اما انا فكنت  
أترك العنان لنفسي كما يترك الناس عنان انفسهم للاحلام

وفجأة ، انقطعت سلسلة الحوانيت التى كانت تشغل عيني  
عند ناصية ميدان واصبح صياح الجماهير اشد قوة وعمقا  
وانتشارا ، وصار أكثر مرحاً كذلك ، وتوقفت العربة عن  
المسير بفتة فكنت أنكفئ على وجهى فوق « أرضيتها »  
الحشبية ، فسندنى القسيس وهو يتمتم قائلاً : « تشجع يابنى ! »

وجاءوا عندئذ بسلم عند مؤخرة العربة فقدم الى القسيس  
ذراعه فنزلت وخطوت خطوة واحدة ثم التفت الى ما ورائى  
لاخطو بعدها خطوة أخرى ، ولكنى لم استطع ، اذ كنت قد  
رايت شيئاً رهيباً بين عمودين من اعمدة النور فوق الرصيف

آه ! لقد كانت هى الحقيقة !

فتوقفت كما لو كنت قد ترنحت من اثر الصدمة ، ثم صحت

قائلا في صوت مخنوق : « لدى اعتراف آخر اريد ان افضى  
به: « ولكنهم صعدوا بي اى هذا المكان  
وطلبت ان يتركونى كى ادون ارادتى الاخيرة ، فكروا وثاق  
يدى ، ولكن الجبل هنا الى جوارى على أهبة الاستعداد ، وبقيته  
ملفوفة على قدمى !



## الرجاء الاخير

لقد حضر منذ لحظة أحد القضاة أو مأمور أو رجل من رجال القضاء لست ادري أيهم . فطلبت اليه العفو عنى وأنا أضرم يدى وأزحف على ركبتى . فأجابنى الرجل قائلاً وهو يبتسم ابتسامة مشثومة : « هل هذا هو كل ماتريد أن تقوله لى ؟ » فعدت أكرر قولى : « العفو عنى ! العفو عنى ! أو خمس دقائق فحسب . . على سبيل الرحمة ! »

من يدرى؟ فقد يصل أمر العفو! ومن الشناعة حقاً أن أموت هكذا وأنا فى مثل هذه السن ! وكثيراً ما رأينا أمر العفو يأتى فى اللحظة الاخيرة وعمن يعفون ياسيدى اذا هم لم يعفوا عنى؟ يالهذا الجلاذ البغيض ! لقد دنا من انقضى ليقول له ان تنفيذ الحكم يجب أن يتم فى ساعة محددة ، وان هذه الساعة تقترب ، وانه كان مسئولاً ، وليقول له فوق هذا ان السماء كانت تمطر ، وان ذلك كان خليقاً بأن يجعل المقصلة تصدا !

فصحت قائلاً : « آه ! دقيقة أخرى على سبيل الرحمة ! دقيقة واحدة أنتظر فيها وصول العفو ! والا فانى سوف أدافع عن نفسى ! سوف أعض ! »

فانصرف القاضى والجلاذ ، وبقيت وحدى !

وحدى مع جنديين

أوه ! يا للشعب، الرهيب بصياحه الذى يشبه عواء الضباغ!  
من يدري ما اذا كنت أفلت منه ؟ من يعلم ما اذا كنت أعتق ؟  
أو أن يصدر عفو عنى ؟ ... من المحال ألا يصدر العفو عنى !  
آه ! يا للتعساء ! يبدو لى أنهم يصعدون السلم ! ...  
الساعة الان الرابعة !







مزلة بنابه ماساة  
بقلم فيكتور هيغو



## الشخصيات

مدام دی بلانفال

الفارس

ارجاست

شاعر حزین

فیلسوف

سید بدین

سید نحیل

سیئات

خادم

## المكان : فى الصالون

شاعر حزين يقرأ هذه الابيات من شعره :  
وفى اليوم التالى ، كانت خطوات تعبر الغابة  
وكان هناك كلب ينبع ويهيم على طول مجرى النهر  
ولما حضرت الفتاة وهى تبكى  
وعادت لتجلس وقلبها مملوء بالهواجس  
على البرج القديم جدا فى القصر العتيق  
سمعت « ايزور » الحزينة انين الامواج  
ولكنها لم تعد تسمع الربابة بعد ذلك  
ربابة القصصى ( الشاعر ) اللطيف !  
كل المستمعين - « برافو » ! .. لطيف ! .. مدهش !  
( ويصفقون فى نفس الوقت )  
مدام دى بلانفال - هناك فى نهاية هذه القصيدة شىء  
غامض لا يمكن تعريفه ، شىء يسيل الدمع من العيون  
الشاعر الحزين - ( فى تواضع ) : ان الكارثة مقنعة ؟  
الفارس - ( وهو يهز رأسه ) : ان كلمتى ربابة وعازف  
ربابة : رومانتيكيتان !  
الشاعر الحزين - نعم ياسيدى ، ولكنها رومانتيكية معقولة،  
رومانتيكية بمعنى الكلمة - ماذا تريد اذن ؟ يجب علينا ان  
نتساهل بعض الشىء  
- نتساهل .. نتساهل ! اننا بهذه الطريقة نفقد اللوق

الفنى .. اننى لاعطى بامتنان كل الاشعار الرومانتيكية فى  
مقابل هذا الرباعى :

فى بلاد « باند » و « سيتير »

اخطر « جاتى برنار »

بان فن الحب يجب فى يوم السبت

ان يتعشى عند فن الاعجاب

هذا هو الشعر بمعنى الكلمة ! فن الحب الذى يتناول عشاءه

يوم السبت عند فن الاعجاب ! حسنا ، حسنا ! ولكنه اليوم

عبارة عن رباة وعازف رباة . لم يعد ثمة شعر به تورية

واستعارة .. آه ! لو كنت شاعرا لكتبت أشعـارا مملوءة

بالاستعارات .. ولكنى لست شاعرا .. انا .

الشاعر الحزين - ومع ذلك ، فلاشعار الحزينة

والعاطفية ...

الفارس - اننا نريد ياسيدى اشعارا بها استعارة .. ( ثم

بصوت هامس الى مدام دى بلانفال ) : ثم انه استعمل كلما

غير فرنسية !

شخص ما - ( مخاطبا الشاعر الحزين ) : لى ملاحظـ

ياسيدى .. انك تقول : « القصر العتيق » ، فلماذا لا تقول

« القصر القوطى ؟ »

الشاعر الحزين - ان كلمة « قوطى » لا تقال فى الاشعار

شخص ما - آه ! هذا امر مختلف

الشاعر الحزين - ( متابعا حديثه ) : افهمنى تماما ياسيدى؛

•• يجب أن نحدد أهدافنا ، وأنا لست من هؤلاء الذين يريدون  
اشاعة الفوضى والاضطراب في الشعر الفرنسي والعودة به الى  
عصر مدرسة « رونسار » ( ١ ) ومدرسة « برييوف » انى  
رومانتيكى ولكنى معتدل ، والامر عندى تماما كالانفعالات ،  
فانا ازيدها حوة رقيقة ، وحزينة حالة ، ولكنى لا اريد ابدا  
دما وبشاعة • يجب تغطية الكوارث ، وانى لاعرف ان هناك  
اناسا مجانين يشتط خيالهم ويهرف ، وهم •• عجباً ! هل  
قراتن سيداتى الرواية الجديدة ؟

السيدات - اية رواية ؟

الشاعر الحزين - الرواية التى عنوانها : « آخر يوم » ••  
سيد بدين - كفى ياسيدى ! فانا اعرف ما تريد ان تقول  
•• ان العنوان وحده يرهق أعصابى !  
مدام دى بلانفال - وانا كذلك •• انه كتاب فظيع ، وهو  
عندى هنا

السيدات - ارينا اياه •• ارينا اياه !

( يمر الكتاب من يد الى اخرى )

شخص ما - ( يقرأ ) : آخر يوم فى حياة شخص •••  
السيد البدين - رحماك ياسيدتى !  
مدام دى بلانفال - حقا انه كتاب شنيع يسبب الكابوس ،  
ويجلب لقارئه المرض

سيده - ( بصوت منخفض ) : يجب ان اقرا هذا الكتاب

---

(١) شاعر رومانتيكى من شعراء القرن السادس عشر

**السيد البدين -** من واجبتنا ان نعترف بان الاخلاق تندهور من يوم الى يوم . يا الهى ! يالها من فكرة بشعة ! . . اولى تحليل كل الالام البدنية ، وكافة انواع العذاب النفسى التى يقاسيها رجل محكوم عليه بالاعدام يوم تنفيذ الحكم فيه ، واحدة بعد اخرى ، والتطفل فيها ، والتنقيب عن جدورها وملابساتها . . او ليس هذا كله شيئا شنيعا ؟ اتفهم من سيداتى انه قد وجد بالفعل كاتب تبنى هذه الفكرة وان ثمة جمهورا يقرأ لهذا الكاتب ؟

**الفارس -** هذا فى الواقع عمل ينطوى على اكبر قدر من الوقاحة !

**مدام دى بلانفال -** ومن هو مؤلفه ؟

**السيد البدين -** لم يكن اسم المؤلف مكتوبا على الطبعة الاولى

**الشاعر الحزين -** انه هو بعينه الذى سبق له ان كتب روايتين اخريين . . أقسم بشرفى انى نسيت عنوانيهما ! ان الرواية الاولى تبدأ فى المشرحة وتنتهى فى ساحة الاعدام ، وفى كل فصل من فصولها تجدون غولا يأكل طفلا

**السيد البدين -** وهل قرأت هذا ياسيدى ؟

**الشاعر الحزين -** نعم ياسيدى ، وحوادث هذه الرواية تقع فى « ايسلاندة » . .

**السيد البدين -** فى ايسلاندة ؟ ان هذا لشيء مخيف !

**الشاعر الحزين -** لقد كتب عدا هذا اشعارا غنائية والوانا



عدة من القصائد لست أعرفها ، ولكن فيها الوحوش ذات  
الاجساد الزرقاء !

الفارس - ( ضاحكا ) : يا الهى ! لا بد ان يكون هذا بيتا  
عنيفا من الشعر

الشاعر الحزين - لقد نشر كذلك دراما مسرحية - انهم  
يسمون هذا دراما - ولقد جاء بها هذا البيت الجميل من  
الشعر :

غدا ، الخامس والعشرون من يونيو سنة الف وستمائة  
وسبع وخمسين

شخص ما - ياله من بيت من الشعر !  
الشاعر الحزين - ان هذا يمكننا كتابته بالارقام ٠٠ انظر  
سيداتي :

غدا ٢٥ يونيو ١٦٥٧

( يضحك ويضحك معه الآخرون )

الفارس - لقد اصبح الشعر الآن شيئا « خاصا »  
السيد البدين - آه ! ان هذا الرجل لا يعرف كيف يقرض  
الشعر فما هو اسمه ؟

الشاعر الحزين - انه اسم يصعب حفظه والنطق به ٠٠ وبه  
المقطع : « جو » . . شئ يشبه « فيزيجو » على ما اذكر ، وعلى  
كل حال فان فيه شيئا من « الاوستروجو » ( ١ )

يضحك

---

(١) قبائل البربر التي غزت الامبراطورية الرومانية . وواضح ان  
الشاعر الحزين يلمح هنا الى اسم « فيكتور هيجو »

مدام دى بلانفال - انه رجل بفيض !  
السيد البدين - بل رجل شنيع !  
سيده شابة - ان شخصا يعرفه قال لى ..  
السيد البدين - اتعرفين شخصا يعرفه ؟  
السيدة الشابة - نعم ، وهو يقول انه رجل حلو الطباع ،  
بسيط ، يضحك وهو فى عزلته ، ويقضى ايامه فى اللعب مع  
ابنائه

الشاعر الحزين - ويقضى لياليه يحلم بمؤلفاته المظلمة . هذا  
شئ فريد ! اليكم بيتا من الشعر نظمته بطريقة طبيعية للغاية :  
« ولياليه يقضيها فى الحلم فى مؤلفاته المظلمة »  
وهو بيت مصقول حسن ، ولا تنقصه الا قافية بيت آخر  
آه ! .. هاهى ذى :

### « فى الليل الخالك »

السيد البدين - كنت تقولين اذن يا سيدتى ان المؤلف  
المذكور له أبناء صغار .. ان هذا مستحيل ياسيدتى ، عندما  
يكتب المرء مثل هذا الكتاب ! ... اوه ! مثل هذه الرواية  
المفرعة ...

شخص ما - ولكن ، لاي هدف كتب هذه الرواية ؟

الشاعر الحزين - انى لى ان اعرف ؟

فيلسوف - يبدو انه كتبها بقصد الاسهام فى الغاء عقوبة  
الاعدام .

السيد البدين - انى اقول لكم ان هذه الرواية شئ بشع !

**الفارس - آه ! انى ارى ذلك .. انها اذن مبارزة مع الجلاد**  
**الشاعر الحزين - الواقع انه يحقد على المفصلة كل الحقد**  
**سيد نحيل - استطيع ان اتصور ذلك ، فهى خطب اذن ؟**  
**- كلا على الاطلاق ان هناك صفحتين على الاكثر عن نص**  
**عقوبة الاعدام ، اما الباقي كله فهو عبارة عن مشاعر**  
**الفيلسوف - هذا هو وجه الخطأ ، فالموضوع كان جديرا**  
**بالتامل . ان « الدراما » او الرواية لاتبرهن على شىء ، ثم انى**  
**قرات الكتاب ، وهو كتاب ردىء**

**الشاعر الحزين - بل وكريه ! هل هذا فن ؟ انه قد تخطى**  
**الحدود وحطم الزجاج ! وهناك كذلك هذا المجرم .. آه لو كنت**  
**اعرفه ! ولكن .. كلا ! ماذا جنت يداه ؟ اننا لانعرف عن ذلك**  
**شيئا ، وليس لاحد الحق فى ان يشر اهتمامى بانسان لا أعرفه**  
**السيد البدين - ليس من حق الكاتب ان يشر فى القارىء**  
**الاما بدنية . انى عندما اشاهد مسرحيات محزنة يحدث فيها**  
**قتل .. آه ! حسنا .. فذلك لا يؤثر فى نفسى ، ولكن هذه**  
**الرواية يقف لها شعر الراس ، انها تجعل جسمك يرتجف**  
**بأسره ، وتجعلك تحلم احلاما فظيمة . لقد لازمت الفراش**  
**يومين بعد ان قراتها**

**الفيلسوف - زد على ذلك انه كتاب بارد ومتكلف**

**الشاعر - اوه ! كتاب ! .. كتاب !**

**الفيلسوف - نعم ، وكما كنت تقول منذ لحظة ياسيدى ،**  
**انه كتاب لا يقوم على الفن الحقيقى ، الفن بمعنى الكلمة ! انى**

لا اعنى بأمر افتراضى محض ، ولست ارى فى الرواية شخصية تنمى شخصيتى . وفوق هذا ، فاسلوبه ليس بسيطا ولا واضحا ، انه مليء بالكلمات العتيقة ، افليس هذا هو ماكنت تقوله ؟

**الشاعر - بلا شك ، بلا شك ! يجب الا تكون هناك شخصيات**

**الفيلسوف - ان الشخص المحكوم عليه لا يثير الاهتمام**

**الشاعر - وكيف يمكن ان يثير اهتمام القارىء ؟ انه ارتكب جرما ولا يشعر بندم ! لو اننى كنت المؤلف لفعلت عكس ذلك تماما ، لكنك قصصت قصة شخص المحكوم عليه ، فقلت انه مولود من ابوين شريفين وتلقى تربية طيبة . وبعد هذا يأتى الحب ، والغيرة ، وجريمة لا تكون جريمة . . ثم يأتى دور الندم . نعم ، كثير من الندم . ولكن القوانين التى وضعها الانسان لا ترحم . فيجب اذن ان يموت . وهنا ، كنت اتحدث عن موضوعى الذى اعالجه : عقوبة الاعدام**

**مام دى بلانفال - آه ! آه !**

**الفيلسوف - عفوا ! ان الكتاب كما يفهمه السيد لا يبرهن على شيء ، فالخاص لا يكون حكما للعام**

**الشاعر - حسنا ! هناك ما هو افضل . لماذا لم يتخير المؤلف بطلا لروايته مثلا ، شخصية كشخصية مالزوب ، مالزوب الفاضل ؟ آخر يوم فى حياته وعدابه قبل اعدامه ؟ آه ! انه كان خليقا عندئذ بان يكون منظرا جميلا نبيلًا ! ولكنك بكيت**

وارتجفت من الانفعال ورغبت في الصعود معه الى المقصلة!  
الفيلسوف - اما انا فلا !

الفارس - ولا انا . الواقع ان السيد « مالزوب » الذي  
تحدث عنه كان ثائرا

الفيلسوف - ان شئنا « مالزوب » لا يبرهن على شيء ضد  
عقوبة الاعدام بوجه عام

السيد البدين - عقوبة الاعدام ! ماجدوى الاهتمام بهذا  
الامر ؟ وفيه تعنيكم عقوبة الاعدام ؟ لا بد ان يكون هذا الكاتب  
من وضاعة الاصل بحيث ياتي ليثير في انفسنا بكتابه هذا  
كابوسا بشأن هذا الموضوع !

مدام دي بلانفال - ان الذين وضعوا القوانين لم يكونوا  
اطفالا

الفيلسوف - آه ! ومع ذلك ، فعندما تعرض الامور في  
صراحة ...

السيد النحيل - آه ! هذا هو ما ينقص الكتاب تماما :  
الحقيقة والصراحة

ماذا تريدون ان يعرفه شاعر عن مثل هذه الامور ؟ يجب  
ان يكون المرء على الاقل وكيلا للنائب العام . عجبا ! اني قرأت  
في نص ذكرته احدى الصحف عن هذا الكتاب ان المحكوم عليه  
لايقول شيئا عندما يقرءون عليه نص الحكم . حسنا ! اما  
انا فقد رايت شخصا محكوما عليه بالاعدام وهو يصيح بقوة  
في تلك اللحظة قائلا :

« هل ترون ... ؟ »

**الفيلسوف - هل تاذن ... ؟**

**السيد النحيل -** عجباً أيها السادة ! ان المقصلة وساحة  
الاعدام ذوق فاسد ، والدليل على هذا انه كتاب يفسد  
الذوق ، ويجعل المرء عاجزاً عن ان يشعر بانفعالات تقية  
طازجة وساذجة ! متى ينهض اذن اولئك الذين يدافعون عن  
الادب السليم ؟ اننى اود أن اكون عضواً فى الاكاديمية الفرنسية  
وقد يعطينى هذا الحق مرافعاتى كوكيل للنيابة . هذه هى  
حقيقة الامر ياسيد « ارجاست » ، فما رايتك فى كتاب « آخر  
يوم فى حياة محكوم عليه بالاعدام ؟ »

**ارجاست -** الحق ياسيدى اننى لم اقرا هذا الكتاب ولن  
اقراه . لقد كنت اتعشى بالامس عند « مدام دى سينانج » ،  
وتحدثت الماركيزة « دى موريفال » بشأنه مع الذوق « دى  
ملكور » . ويقال ان هناك بعض شخصيات ضد رجال القضاء ،  
وخاصة ضد الرئيس « داليمون » ، وكان الاب « دى  
فلوريكور » ساخطاً كذلك ، ويبدو ان فى الكتاب فصلاً يعارض  
فيه الدين بعض المعارضة وآخر ضد الملكية . آه لو كنت  
وكيلاً للنائب العام !

**الفارس -** حسناً ! وكيلاً للنائب العام ! وماذا عن الدستور؟  
وعن حرية الصحافة ؟ ومع ذلك فسوف تقررونتى على ان  
شاعراً يريد الغاء عقوبة الاعدام امر شنيع . آه ! فلو ان انساناً  
سوّت له نفسه فى العهد البائد ان ينشر رواية ضد تعذيب

المتهمين . . . ! ولكنهم أصبحوا يستطيعون كتابة كل شيء منذ سقوط الباستيل ! ان الكتب تحدث ضررا بليفا

السيد البدين - بليفا ! لقد كنا نعيش في هدوء ولا نفكر في شيء. كان يقطع في فرنسا راس من حين لآخر هنا او هناك او راسان على الاكثر في كل اسبوع ، غير ان ذلك كله كان يتم في هدوء وبلا فضائح . كانوا لا يقولون شيئا ، ولم يكن احد يفكر في الامر على الاطلاق ! وهذا كتاب . . كتاب يحدث لك صداعا اليما !

السيد النحيل - علينا ان نجد الوسيلة التي تجعل المحلفين يحكمون بالاعدام بعد قراءة هذا الكتاب

ارجاست - انه يريك الضمائر

مدام دي بلانفال - آه ! الكتب ! الكتب ! من كان يصدق ذلك عن رواية ؟

الشاعر - ليس ثمة شك في ان الكتب كثيرا ما تكون سما لقلب النظام الاجتماعى

السيد النحيل - دون ان تأخذ في حسابنا اللغة التي يحدث فيها السادة « الرومانيك » ثورة كذلك

الشاعر - علينا ان نميز ايها السادة ، فثمة « رومانيك » و « رومانيك »

السيد النحيل - الدوق الفاسد ! الدوق الفاسد !

ارجاست - انك لعلى حق . الدوق الفاسد !

السيد النحيل - ليس ثمة مايرد به على ذلك .

**الفيلسوف - ( وهو يتكىء على مقعد سيده ) : انهم يقولون  
هناك اشياء لم تعد تقال حتى في شارع موفتار**

**ارجاست - آه ! ياله من كتاب بفيض !**

**مدام دي برفال - اوه ! لا تلقوا به في النار فهناك من  
تمتدحه**

**الفارس - حدثيني عن زماننا الماضي . لشد ما فسد كل  
شيء منذ ذلك الحين : الذوق ، والاخلاق ! هل تذكرين زماننا  
يا « مدام دي بلانفال » ؟**

**مدام دي بلانفال - كلا ياسيدي . لست اذكره ابدا**

**الفارس - لقد كنا نحن الشعب اكثر لطفا واكثر مرحا وخفة  
روح ، وكانت الحفلات الجميلة تقام دائما ، وكانت تقرا الاشعار  
الجميلة . كان ذلك ساحرا للغاية . اهنالك ماهو ازوع من  
الشعر الذي كتبه السيد « دي لهارب » عن الحفل الراقص  
العظيم الذي اقامته مدام « لاماريشال دومايي » في عام ١٧٠٠  
وهو العام الذي اعدم فيه « داميان » ؟**

**السيد البدين - ( متنهدا ) : ياله من زمن سعيد ! والآن  
صارت الاخلاق مروعة ، وكذلك الكتب . هذا البيت من  
الشعر الذي قاله بوالو ( ١ )**

**« ان سقوط الفنون يتبع تدهور الاخلاق »**

---

(١) شاعر فرنسي من شعراء القرن السابع عشر واولئك القرن الثامن عشر  
(١٦٣٦ - ١٧١١م)



**الفيلسوف - ( في صوت منخفض موجهها الحديث الى  
الشاعر ) :**

**هل هناك عشاء في هذا البيت ؟**

**الشاعر الحزين - نعم ، بعد قليل**

**السيد النحيل -** والآن هم يريدون الغاء عقوبة الاعدام ،  
ويكتبون لهذا الغرض روايات قاسية فاسدة اللوق ولا اخلاق  
فيها مثل « آخر يوم في حياة محكوم عليه بالاعدام » وغيرها  
مما لا اعرفه !

**السيد البدين -** عجباً يا عزيزي ! لنكف عن الكلام عن هذا  
الكتاب الشنيع . وبما انا قد تقابلنا ، فقل لي ماذا ستفعل في  
امر ذلك الرجل الذي رفضنا طلب استئنافه للحكم الصادر  
عليه منذ ثلاثة اسابيع ؟

**السيد النحيل -** آه ! قليلا من الصبر ! انا هنا في عطلة  
ودعني التقط انفاسي . وسوف ارى ذلك بعد عودتي الى العمل ،  
ومع ذلك فان تأخرت كثيرا فسوف اكتب الى من يقوم  
بعملي

**خادم - ( يدخل ) : سيدتي : ان العشاء قد اعد !**

رقم الإيداع

٢٠٠٢ / ٤٤٨٧

I - S - B - N

977- 07- 0827-5

التحويل لصفحات فردية  
فريق العمل بقسم  
تحميل كتب مجانية

بقيادة  
\*\* معرفتي \*\*

[www.ibtesama.com](http://www.ibtesama.com)  
منتديات مجلة الإبتسامة

شكرا للغالية  
Amly  
التي تفضلت بسحب الرواية

روائع مجلة  
الابتساماة  
من الكتب  
المعالجة  
والصفحات الفردية